جماليات التشكيل الفني في (كتاب ليلى المريضة في العراق) للدكتور زكي مبارك

د. وائل علي السيد*

مقدمة

يتناول هذا البحث كتابا من أهم الكتب التي تصور الحياة في بغداد وبعض الحواضر العراقية الأخرى في ثلاثينيات القرن العشرين، وهو كتاب (ليلى المريضة في العراق)، بقلم واحد من الكتّاب المعدودين على الساحة الفكرية في مصر والعالم العربي في العصر الحديث، وهو الدكتور زكي مبارك (١٨٩٢ – ١٩٥٢) الذي نشره عام ١٩٣٩م، ذلك أنه زار العراق وقضى بها تسعة أشهر، قام خلالها بتدريس الأدب العربي بدار المعلمين العالية في بغداد، وكانت أيامه في العراق كلها نعيما مقيما، وسعادة متصلة، ويشهد بذلك قوله : " ومن واجبي أن أسجل في هذه المذكرات أني لم أر في حياتي أطيب من أيام العراق، وسأظل من أنصار العراق فيما بقي من حياتي، حيّا الله العراق، ونصر الله العراق " [١] .

سبب اختياري هذا الكتاب :

يعتبر كتاب (ليلى المريضة في العراق) من أدب السيرة الذاتية؛ لأنه تسجيل دقيق لمرحلة من حياة الكاتب، يأخذنا معه في رحلة ممتعة إلى العراق، موطن الحضارة والتاريخ العريق، ويشتمل على مذكرات شخصية للكاتب في الفترة التي قضاها في العراق من ٢٣ من أكتوبر ١٩٣٧م حتى ٢٣ من يونيو ١٩٣٨م، وكانت عبارة عن مقالات بدأ ينشرها زكي مبارك بمجلة "الرسالة"

* د. وائل علي السيد: أستاذ مساعد – كلية التربية – جامعة عين شمس

المصرية في ديسمبر ١٩٣٧م، فأحدثت دويا هائلا في الأوساط الأدبية، ورسمت " صورا –حزينة وصريحة وصادقة– لحياته وذكرياته وأحلامه، وتجد فيها صراعا بين العلم والجهل، والرشد والغي، والهدى والضلال. والكتاب في جملته من أعمق الكتب في أدب التراجم الذاتية في أدبنا المعاصر؛ لعنايته بألوان من الصور الشعرية التي تصور عذاب الأرواح والقلوب "[٢]، ويقع الكتاب في نحو أربعمائة وعشرين صفحة، ويضم ثمانية وخمسين فصلا في ثلاثة أجزاء.

المنهج الذي تسير عليه الدراسة :

اعتمدت على المنهج التحليلي، مستعينا بالمنهج السيميائي ومنهج علم السرديات من خلال تعاملي مع النص بصورة موضوعية؛ للكشف عن أسراره الفنية، وعن سماته الموضوعية التي هي ثمرة من ثمرات الكتابة السيرذاتية، وذلك من خلال المحاور الآتية :

- أولا : التعريف بالكاتب، وصلته بالعراق .
- ثانيا : العنوان (قراءة تفسيرية في العتبة الأساسية) .
- ثالثا : طريقة زكي مبارك في رسم الشخصيات.
- رابعا: العناية بالمكان في سرد زكي مبارك .
- خامسا : ملامح شخصية السارد / الراوي .
- سادسا: من الخصائص الأسلوبية للكاتب .
- الخاتمة .

أولا التعريف بالكاتب [٣]:

زَكي مُبَارَك (١٣٠٨ – ١٣٧١ هـ = ١٨٩١ – ١٩٥٢ م) :

محمد زكي عبد السلام مبارك، أديب مصري من كبار الكتّاب في عصره، امتاز بأسلوب خاص في كثير مما كتب، وله شعر جيد. ولد في قرية (سنتريس) بمحافظة المنوفية بمصر، وتعلم في الأزهر، ونال درجة الدكتوراه في الآداب ثلاث مرات :

- الأولى من الجامعة المصرية سنة ١٩٢٤ في موضوع " الأخلاق عند الغزالي" .
- والثانية من السوربون حينما ذهب إلى باريس سنة ١٩٣١ في موضوع " النثر الفني في القرن الرابع " .
- ثم نال الدكتوراه الثالثة من الجامعة المصرية سنة١٩٣٧ في موضوع " التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق ".

واشتغل زكي مبارك بالتدريس بمصر، وانتدب للعمل مدرّسا في بغداد، ثم عاد إلى مصر، فعين مفتشا بوزارة المعارف، ونشر مؤلفاته في فترات مختلفة، وكان في أعوامه الأخيرة يوالي نشر فصول من مذكراته وذكرياته في فنون من الأدب والتاريخ الحديث تحت عنوان (الحديث ذو شجون)، وتوفي بالقاهرة، ودفن في قريته (سنتريس) .

وقد ترك أكثر من ثلاثين كتابا منها : حب ابن أبي ربيعة وشعره ١٩١٩م، البدائع (مقالات في الأدب والإصلاح) ١٩٢٣م، مدامع العشاق ١٩٢٤م، الأخلاق عند الغزالي ١٩٢٤م، الموازنة بين الشعراء ١٩٢٦م،

ذكريات باريس ١٩٣١م، النثر الفني في القرن الرابع (جزآن) ١٩٣٤م، المدائح النبوية في الأدب العربي ١٩٣٥م، اللغة والدين في حياة الاستقلال ١٩٣٦م، التصوف الإسلامي ١٩٣٨م، الأسمار والأحاديث ١٩٣٩م ، العشاق الثلاثة ١٩٤٥م، ألحان الخلود (ديوان شعر) ١٩٤٧م، مجنون سعاد ١٩٧٧م، أحمد شوقي ١٩٧٧م، حافظ إبراهيم ١٩٧٨م، والكتب الثلاثة الأخيرة صدرت بعد وفاته.

واتخذ من العراق موضوعا له في أربعة كتب، هي :

١- عبقرية الشريف الرضي (جزآن) مطبعة أمين عبد الرحمن، القاهرة ١٩٣٨م

٢- وحي بغداد، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٩٣٨م.

٣- ليلى المريضة في العراق، ثلاثة أجزاء، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٣٩م.

٤- ملامح المجتمع العراقي، مطبعة أمين عبد الرحمن، القاهرة،١٩٤٢م.

ومن الكتب التي حققها :

١- زهر الآداب وثمر اللباب: لأبي إسحاق الحصري القيرواني، المكتبة التجارية الكبرى. المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٢٥م.

٢- الكامل للمبرد:/ تحقيق زكي مبارك وأحمد محمد شاكر/ مطبعة الحلبي ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧م .

٣- ديوان مجنون ليلى للوالبي، مطبعة الحلبي بمصر.

صلة زكي مبارك بالعراق :

" طلبت وزارة المعارف العراقية من الوزارة المصرية أن تعيرها زكي مبارك أستاذا للأدب العربي بدار المعلمين العليا ببغداد، فلم تستطع الوزارة أو زكي مبارك أن يرفضا طلب الوزارة العراقية؛ لأنها كانت قد طلبته بالاسم، وقد دخل زكي مبارك بغداد فجر ٢٣ أكتوبر ١٩٣٧"[٤].

وأعجب زكي مبارك بالعراق وأهله أيما إعجاب، حتى تحول إعجابه إلى حب وعشق وهيام تجلى في أكثر من صورة، فيقول : " ... فما ذقت طعم الحياة إلا في العراق، ولا رأيت صدق القلوب إلا في العراق، ولا عرفت جمال النيل إلا بعد أن رأيت لون مائه في دجلة والفرات، وما أسفت على شيء كما أسفت على أن لم يقدر لشاعرنا شوقي أن يزور العراق ... أحب أن تسمعوا سجع الحمائم في الموصل، وأن تروا غابات النخيل في البصرة، وأن تعانوا السحر في بابل، وأن تكحل أعينكم بغبار الصحراء في النجف، وأن تستصبحوا بظلام الليل في بغداد "[٥].

ويرى كريم مرزة أن ما ناله من التكريم والكرم العراقي هو ما يستحقه لجرأة كلمته، وقوة شخصيته، وصريح قوله، وللأسف الشديد هذه الخصال عينها سببت له في مصره المشاكل والمشاكسات، فصبت عليه النقمة، ومنعت عنه اللقمة، وجذبت إليه اللعنة !! [٦]

ومن يرغب في الاستفاضة من المعلومات والأخبار عن تلك الفترة التي قضاها زكي مبارك في العراق فعليه بكتاب (زكي مبارك في العراق)[٧] لتلميذه في دار المعلمين العالية الأستاذ عبد الرزاق الهلالي.

ثانيا : العنوان (قراءة تفسيرية في العتبة الأساسية) :

تؤدي العتبات دورا مهما باعتبارها مدخلا أساسيا للنص الأدبي ، ولما لها "من وظيفة في فهم خصوصية النص وتحديد جانب أساسي من مقاصده الدلالية"[٨].

وفي ظني أن العنوان أهم عتبة يمكن أن تمدنا بإضاءات على النص؛ لكونها واجهته ومفتتحه، والأداة الفنية التي تسهم في تحقيق قدر كبير من التواصل بين المتلقي والنص، ولا يكتمل النص بدونها، حتى يتسنى له استكشاف مدلولاته " متأولاً له، وموظفًا خلفيته المعرفية في استنطاق دواله الفقيرة عددًا وقواعد تركيب وسياقًا، وكثيرًا ما كانت دلالية العمل هي ناتج تأويل عنوانه، أو يمكن اعتبارها كذلك دون إطلاق"[٩].

ذلك لأن العنوان علامة سيميائية تبرز هوية النص، وتسمه بسمات تميزه عن غيره من النصوص الأخرى، ولأنه " "ممتلك لبنيةٍ ولدلالةٍ لا تنفصل عن خصوصية العمل الأدبي"[١٠].

أما عن العلاقة التي تربط بين العنوان والنص الأدبي فهي علاقة ديناميكية متنوعة، أشبه بالعلاقة بين المبتدأ والخبر؛ فالعنوان هو الذي يتصدر النص كما يتصدر المبتدأ الجملة، وكما يحتاج المبتدأ إلى خبر يتمم معناه، كذلك لا يمكن أن يكتفي العنوان بنفسه بل هو في حاجة إلى متنٍ يتمم معناه. وقد تأتي العلاقة بينهما أشبه بالعلاقة بين الباب والمفتاح؛ ليكون العنوان بمثابة المفتاح الذي يدلف القارئ من خلاله إلى بوابة النص. وقد تكون العلاقة بينهما كالعلاقة بين السؤال والجواب؛ لأنه وكما يحتاج السؤال إلى جواب كذلك يثير

العنوان لدى القارئ العديد من التساؤلات التي يبحث عن إجابة لها داخل النص الأدبي [١١].

والكتاب الذي بين أيدينا بعنوان " ليلى المريضة في العراق "، كان من الممكن أن يكون عنوانه (ذكريات عراقية) أو (رحلتي إلى العراق) مثلا، ولكن الكاتب أراد أن يكون عنوان كتابه مشوقا للقارئ، وعاملا من عوامل الجذب التي تبعث الناشئة خاصة والقراء بعامة على الولوج إلى هذا العالم المتسربل بالعشق، والعنوان يبدو لعين المتلقي منذ الوهلة الأولى أنه عنوان مباشر، وأن الكاتب سوف يتحدث عن فتاة اسمها (ليلى)، ولكن مع القراءة ومتابعة السرد يكتشف أنه عنوان رمزي، يتكون من أربع كلمات : (ليلى) رمز الحب، المعشوقة التي قيل فيها أروع قصائد الحب من مجنونها قيس، " واتخذها الصوفية رمزا للحب الإلهي، وعبروا بها عن أحوالهم ومقاماتهم"[١٢]، ومن ذلك قول عمر بن الفارض :

هل نارُ ليلى بدتْ ليلًا بذي سَلَمِ أم بــارقٌ لاحَ بالزَّوراء فالعَــلَمِ

وليلى التي ذكرها الكاتب في عنوان الكتاب هي اللغة العربية، وقد استوحاه من قول الشاعر:

يَقُولُونَ لَيلَى بالعــراقِ مَرِيضَــةٌ فَيَا ليتَني كنتُ الطَّبِيبَ المُداويَا

والكاتب يقول إن ليلى هي:" المرأة الجميلة التي عرفت بها كيف استطاع العراق أن يسيطر على الآداب العربية مئات السنين"١٣، وهذا ما يؤكد أنها اللغة العربية، وقد قرر في مقدمة الكتاب أن ليلاه معروفة لجميع الناطقين بالضاد، و(المريضة) كلمة دالة على ما أصابها من ضعف ونحول، وما تحتاج إليه من

عناية ورعاية لا ينهض بهما إلا الأطباء الأكفاء، ولعل وصف ليلى بالمريضة أكثر توفيقا من وصفها بالسقيمة؛ لأن المرض مؤقت ويمكن أن يكون له دواء، أما السقم فهو مرض طويل مزمن ولا يرجى شفاؤه، وهذا يدل على دقة الكاتب اختيار ألفاظ عنوانه ، كما يدل على أن لديه أملا في مداواة اللغة وعلاج ضعفها، وسوف تعود إلى سابق عهدها، ومن يداوي ليلى إلا عاشقها وطبيبها زكي مبارك ؟ .

و (العراق) موطن ليلى، اسم المكان الذي عشقه الكاتب، وهو اسم يعبق برائحة التاريخ العريق، والحضارة التليدة، وهو أيضا هوى المؤلف، ومأوى ذكرياته، والموئل الذي حط فيه رحاله.

ويمكن أن نسمي هذا العنوان بالفني المركب؛ لأنه يتضمن تركيبا لغويا دالا يمكن أن تنزاح دلالاته مع تغيرات وتأويلات مختلفة .. وتثير في ذهن المتلقي الحيرة والتساؤل، وهو عنوان خاص بمعنى أنه متعلق بالمكان، وما له من خصوصيات رمزية، ومن ثم له القدرة على تلخيص معنى شامل في اختزال دال "[١٤].

بعد هذا التناول لدلالات مفردات العنوان الذي اختاره زكي مبارك نجد كيف أنه أصبح "مصطلحًا إجرائيًا في مقاربة النص الأدبي، ومفتاحًا أساسيًا يتسلح به المحلل للولوج إلى أغوار النص العميقة قصد استنطاقها وتأويلها، ويستطيع العنوان أن يقوم بتفكيك النص، من أجل تركيبه، عبر استكناه بنياته، الدلالية والرمزية وأن يضئ لنا في بداية الأمر ما أشكل من النص وغمض"[١٥].

ولقد أدى هذا العنوان (ليلى المريضة في العراق) وظيفة إغرائية على حد تعبير "جيرار جنيت"؛ لأنه بمثابة الشَّرَك الذي ينصبه المبدع لاقتناص المتلقي، ودفعه إلى الإقبال على النص وقراءته، حيث توكل إليه مهمة نجاح المبدع في إثارة فضول القارئ واستجابته بالإقبال على اقتناء النص وتداوله [١٦].

كما أن زكي مبارك استهل كتابه بمقدمة عنوانها (تقرير طبي)، يقع في ثماني صفحات، وهو بمثابة تمهيد نفسي ووجداني لإقناع القارئ بأهمية المهمة التي يقوم بها، ولإرساء فكرة أنه طبيب يزاول مهنة الطب، ثم أخذ يصف في تقريره الطبي حالة ليلى، وما بذله من جهد من أجل علاجها ومداواتها، يبين فيه أن كل زياراته وأسفاره في العراق ولقاءاته بأعلامه كل ذلك حتى يستطيع الكشف عن أسباب المرض، ويهيئ لها وسائل الشفاء .

وكان لهذا الاستهلال وظيفتان يؤديهما داخل النص[١٧]، الوظيفة الأولى: جذب انتباه المتلقي وشده إلى موضوع النص، وذلك يعتمد على براعة الكاتب وحرفيته، فعندما يأتي الاستهلال حسن السبك صحيح المعنى، يتسم بالسهولة في اللفظ والتركيب، وبدقة التعبير، وبراعة الأسلوب فإن ذلك يكون أدعى لإقبال المتلقي على النص.

والوظيفة الثانية : يقصد بها التلميح إلى مضمون النص، وذلك من خلال ما يؤديه الاستهلال داخل النص من تمهيد للأحداث، وإشارة إلى الغرض العام والغاية المرومة من وراء هذا النص، بالإضافة إلى إقامة علاقات وشيجة مع عناصر العمل الأخرى، بحيث تتآزر جميع أجزاء العمل لإبراز الفكرة المحورية، فلا يستأثر بها جزء دون آخر.

ثالثا : طريقة زكي مبارك في رسم الشخصيات :

لقد أصبح مصطلح السرد اسما جامعا لكل العناصر الفنية للعملية الإبداعية ، ويؤيد هذا قول جيرار جنيت : " فكل سرد إلا ويتضمن في الواقع بنسب متفاوتة جدا – مع أنه متنوع وشديد التراكب – من جهة أولى عروضا لأفعال وأحداث هي التي تشكل السرد بمعناه الخالص، ويتضمن من جهة ثانية عروضا لأشياء ولشخوص هي نتاج ما ندعوه اليوم وصفا "[١٨]، وعلى هذا فإنني أرى من الضروري الوقوف على طريقة رسم السارد / زكي مبارك للشخصيات ووصفه إياها، باعتبار أن ذلك من صميم تناولنا للعملية الإبداعية.

وقد كان انتداب زكي مبارك إلى التدريس بدار المعلمين العالية في بغداد ذا أثر مهم في حياته الأدبية، إذ إن الفترة القصيرة التي قضاها بالعراق قد ألهبت قريحته وأذكت نشاطه فسطر مئات الصحف في الدعوة إلى العروبة، وتوثيق الصلات بين القاهرة وبغداد، واتصل برجال الفكر والسياسة في القطر الشقيق فنزل بينهم منزلا كريما، وقد وصف الآثار العربية، بحاضرة العراق وصفا بديعا، كما نقل للقراء في شتى بقاع العربية، صورا خلابة عن غابات النخيل في البصرة، وسجع الحمائم في الموصل، وبقايا السحر في بابل، ورسم تألق القباب العلوية في النجف والكرخ، وألقى عدة محاضرات بنادي القلم العراقي، وقاعة كلية الحقوق، ونادي المثنى، والإذاعة العراقية، حول الثقافة العربية [١٩]، وقد كرمته حكومة العراق فيما بعد بمنحه وسام الرافدين عام ١٩٤٧م.

ويذكر أصدقاءه من العراقيين بكل خير فيقول : " هل عرفت معنى الصداقة السليمة قبل أن أعرف العراق، لقد أحببت أولئك الناس وأحبوني، فلي

فيهم أصدقاء هم الغاية في الوفاء، وسأبقى ما بقي من حياتي وأنا إليهم مشتاق .. مشتاق "[٢٠].

ولقد ذكر الدكتور زكي مبارك في كتابه عددا من الشخصيات البارزة في العراق حينئذ، ومعظمهم من رجال الأدب والعلم والسياسة الذين شاركهم في ندوة من الندوات، أو سهرة من السهرات،أو التقى بهم في مناسبة من المناسبات، وقد أثنى عليه شعراء العراق في أكثر من عشرين قصيدة على حد قوله[٢١]، وعن أحد الأحفال يقول : " وتلفتُّ فرأيت بهو الفندق يموج بكرام العراقيين الذين جاءوا للتسليم على العشماوي بك[٢٢]، ومن بينهم أصحاب السعادة طه الراوي وساطع الحصري وتحسين إبراهيم وإبراهيم حلمي العمر" [٢٣]، وفي نهاية العام الدراسي أقيم حفل بهذه المناسبة حضره لفيف من الشخصيات العامة، وعنه يقول زكي مبارك : " مضيت إلى دار المعلمين العالية لأشهد الحفلة الختامية، فرأيت هناك معالي الأستاذ محمد رضا الشَّبِيبي وزير المعارف، وسعادة الأستاذ طه الراوي مدير المعارف العام، وسعادة الدكتور فاضل الجمالي مدير التربية والتدريس " [٢٤].

ولما كان زكي مبارك يذكر هؤلاء الأعلام دون تعريف كبير بهم، معتمدا على أن معظمهم مشاهير في عصره، ولقد مر على تأليف هذا الكتاب أكثر من ثمانين عاما، وأصبحت هذه الأسماء مجرد تاريخ وذكرى، لذا رأيت أن أذكر تعريفا لمن عرفهم الكاتب عن قرب، والمناسبة التي جمعتهم، وأسلوبه في رسم شخصياتهم.

وأول هؤلاء وأهمهم محمد رضا الشَّبِيبي [٢٥] : وهو أديب وشاعر، من أعضاء المجامع العلمية العربية في دمشق والقاهرة وبغداد، قابله الكاتب لأول مرة في الحفل الذي أقيم لاستقبال أعضاء المؤتمر الطبي، قال عنه (معالي الأستاذ محمد رضا الشبيبي) [٢٦]، ووصفه بأنه رجل ذو عمامة، وهو من كبار الشعراء، وهو شاعر سليم الذوق، وهو أديب صار وزيرا للمعارف "، وقد خاف منه في أول الأمر، وهاب لقاءه؛ لأن الأدباء الوزراء يهمهم أن يصححوا مراكزهم في المجتمع، ذلك بأن المجتمع يتوهم وهو خاطئ أن الأدباء يستبيحون من ألوان الحياة ما لا يستبيح، فالأديب حين يصير وزيرا يضيِّع وقته في تصحيح مركزه الذي جرحته أوهام المجتمع، فينقلب إلى رجل متحرج متكلف، لا يعوزه غير عمامة عجراء؛ ليصبح شيخ الأزهر أو نقيب الأشراف.

وقال زكي مبارك في حقه كلمات ملؤها الاحترام والتوقير والحب، منها قوله : " الرجل العظيم حقا وصدقا، الرجل الذي شرفني بحضور أول محاضرة ألقيتها على الجمهور في كلية الحقوق، الرجل الذي اتسع صدره لكل ما نشرت في جرائد القاهرة وبغداد من النقد الصريح أو الملفوف لوزارة المعارف العراقية، الرجل الذي انشرح صدره حين رآني أتكلم في المؤتمر الطبي باسم العراق "[٢٧].

ومن حسنات الوزير محمد رضا الشبيبي أنه شهد لزكي مبارك شهادة لم يشهد بمثلها لأحد من قبل، إذ قال في حضرة الأستاذين على الجارم وأحمد السكندري ما نصه " لقد جاء كثير من فضلاء المصريين للتدريس بالعراق، ولكن لم يستطع أحد أن يدخل البهجة على تلاميذه ويغرس فيهم الشوق إلى الأدب غير الدكتور زكي مبارك "، ... وقد علمت فيما بعد أن ناسا شكوني إلى الأستاذ

الشبيبي، وأظهروا عجبهم من أن يتركني أتحدث كيف أشاء، فأجاب : زكي مبارك أستاذ نافع، وهو فوق ذلك من أشرف أصدقاء العراق " [٢٨]، وذكر زكي مبارك أنه في حفل توديعه قال له الشبيبي: " ما هذا الذي صنعت في كتاب المدائح النبوية في الأدب العربي " ؟ فقلت : وما ذاك ؟ فقال : هل تعلم أن كتابك هذا حبسني على قراءته ثلاث ساعات، وهو حظ لم يظفر به مني كتاب حديث منذ أعوام طوال ؟! ". [٢٩]

وثاني الشخصيات المهمة التي عني الكاتب برسمها الأديب طهَ الرَّاوي [٣٠]: وهو باحث عراقي، وقد ذكره زكي مبارك في كثير من المواضع من كتابه، وذكر أنه زاره في بيته، وعندما قدم استقالته من العراق وقرر العودة إلى مصر، لم يدعه الأستاذ الراوي دون أن يسترضيه ويحاول أن يثنيه عن قراره، وقد سأل عدة مرات عنه، فلما لقيه قال له : أنت تهرب مني ؟، يقول مبارك : " واستصحبني إلى منزله ، وسألني عن الأسباب الحقيقية للاستقالة، لأنه استبعد أن تكون مقصورة على طبع كتاب (التصوف الإسلامي) وقال إنه مستعد لترضيتي، وأسرف في التلطف فقال : نستطيع أن نعفيك من الدروس إن كانت أتعبتك، ويكفي أن تقيم في بغداد لأنك أحدثت موجة في العراق، وقد استقدمنا الثعالبي لمثل هذا الغرض " [٣١]، ومن لطائف عباراته في حق زكي مبارك قبل رحيله قوله : " ... أنا أعرف يا دكتور أنك تهرب مني، ولكنك تجهل أني معنَّى القلب بسبب التقصير في حقك، وكنت أظن أن هذا التقصير هو أشدّ ما سأعاني، ثم فاجأتنا المقادير بما رأيت" [٣٢]، وهو هنا يشير إلى حادثة مصرع أحد

الأساتذة المصريين بكلية الحقوق، وإن دلت هذه العبارة فإنما تدل على دماثة خلق الرجل، وأصالة منبته.

وتلك شخصية ثالثة انبهر بها زكي مبارك على قلة كلامه عنها، ذلك هو مَوْلُود مُخْلِص [٣٣] : (رئيس مجلس النواب)، قال عنه زكي مبارك " ثم نمضي فنزور معالي مولود مخلص رئيس مجلس النواب، فنرى الرجل الذي أفهم العالم أن من واجب الجيش الانجليزي أن يحسب ألف حساب للجيش العراقي، ونسمع الفصاحة العربية التي كانت تعذب وتطيب على ألسنة الغزاة الفاتحين" [٣٤]، وهذه العبارة على قصرها وقلة كلماتها تلخص تلك الشخصية الفذة، بما تتمتع به من رباطة جأش وفصاحة لسان.

ومن الشخصيات العراقية المهمة التي ذكرها زكي مبارك شخصية السياسي العسكري نوري السَّعِيد [٣٥]، سياسي، عسكري المنشأ، فيه دهاء وعنف على حد قول الزركلي، قال زكي مبارك لما رأى صاحب الفخامة نوري باشا السعيد : " وكنت أتمثل نوري باشا رجلا كهلا أضوته السنون فأراه فتى خفيف الروح ، كأنما قدم بالأمس من ملاعب مونبارناس، ويقبل عليّ فخامته فيقول : أنا تلميذك بالفكر يا دكتور مبارك؛ لأني قرأت جميع مؤلفاتك . ويروعني هذا اللطف فأقول : لقد علم الله كرم نفسك فحفظ عليك شبابك يا فخامة الرئيس "[٣٦].

أما حاكم البصرة أو متصرف البصرة تحسين علي فقد لقيه زكي مبارك حين ذهب إلى البصرة، واستقبله أحسن استقبال، لذلك يقول عنه : " السيد تحسين علي ملك في صورة إنسان، هو تحفة من الأريحية العربية جاد بها الله على الوجود، السيد تحسين علي هو الشاهد على أن شعراء العرب لم يكونوا في

مدائحهم من الكاذبين، وبفضل السيد تحسين علي عرفت من البصرة في يومين ما لا يعرفه غيري في سنتين . أكتب هذا والدمع في عيني، فالدنيا ألأم وأغدر من أن تسمح لي بملاقاة هذا الرجل مرة ثانية، فإن كان هذا آخر العهد فحسبي من الوفاء أن أسجل ثنائي عليه في هذه المذكرات، ولها قراء يعدون بالألوف ، يا سيد تحسين، سلام عليك ، سلام رجل مصري يحفظ عهد العراق " [٣٧]

وهناك رجل من أفذاذ علماء العراق هو محمد بهجة الأثري [٣٨]: كان من الذين نبغوا بعلومهم وآدابهم حتى ذاع صيتهم ، وكانت حياته العلمية حافلة بالكثير من الأعمال، فقد درس اللغة العربية وبرع فيها، وكذلك في مجال الآداب والتاريخ، يقول عنه زكي مبارك : " وأما السيد محمد بهجة الأثري فكان حالي معه من الأعاجيب، كان جنيًّا يراني ولا أراه، وتعليل ذلك سهل : فقد كانت حجرته مظلمة وكانت نوافذها مغطاة بشبكات من الأسلاك، ومن في النور لا يرى من في الظلام، وكذلك كان لا يراني حيت أمرُّ في الدهليز، ولا أراه فيدعوني حين يشاء، ويتناساني حين يشاء، وأغلب الظن أنه لا يدعوني إلا حين يشتاق إلى من يفهم أسرار البلاغة في قصائد الجياد " [٣٩]

وهذا صديق من أصدقاء زكي مبارك هو محمد صادق الوكيل : من موظفي وزارة المعارف، ومن الذين كان يذهب إليهم زكي مبارك لمناوشتهم كما يقول، ووصفه بأنه " شاب مهذّب، ولا يعاب عليه إلا جاذبية خفيفة توجب أن يتطلع القلب إلى لقائه من حين إلى حين ..."[٤٠]، وهنا يستعين الكاتب بلون من البديع وهو تأكيد المدح بما يشبه الذم ، كقول النابغة الجعدي:

فتى كملت أخلاقه غير أنه ... جواد فما يبقى من المال باقيا[٤١]

ثم يقول زكي مبارك: " أنا أذهب إلى وزارة المعارف كل يوم لأرى هؤلاء الرفاق، ولأتناول الغداء مع صادق الوكيل حين يجوع، وهو يجوع في كل وقت .. والحق أن صادق الوكيل تحفة، وهو نموذج للصديق النافع، فهو يحضر كل ما يهمني الاطلاع عليه من نادر المؤلفات، وينسخ أو يستنسخ ما أحتاج إليه من الوثائق والأسانيد " [٤٢]، ولا يخفى ما في هذا الوصف من سخرية مشوبة بطرافة تنأى عن السخف .

وهناك شاعر عراقي من أهل بغداد، كان زكي مبارك يلتقى به من خلال لقاءاته في (مقهى الشابندر) بأصدقائه الشعراء الآخرين، هو عبد الرحمن البَنَّاء [٤٣] ، وقد أورد له قصيدة يمدحه بها، أنشدها في حفل وداعه، في فندق " العالم العربي " يقول فيها [٤٤] :

زكي النفس بعدك لا جليسُ يروق لنـاظــري ولا أنيـــسُ
ألفتُكَ صـادقـا حـــرا أبيـًّا أخـــا نُبـــلٍ لـه أدب نفيـــسُ
لك الأسماع تنصت مرهَفاتٍ وتهطع إن خطبت لك الرءوسُ

ومنها :

لبعدك كابـدت بغداد حـزنـا وإن فرحـت بقربك سنتريـسُ
يـزفُّ إليـك بنَّـــاءُ القوافـي محجـلة كمـا زفـت عروس
ونسأل منك صفحا عن قصور أتـى منـا به الحـظ التعيـس
فمثلك من يدوم السعـد فيه ومثلك مـن تزول بـه النحـوس

ولا يخفى ما في القصيدة من آيات الود الصادق، وما أنعم به العراقيون على زكي مبارك من الثقة والمحبة، حتى وهو راحل عنهم إلى الأبد، وما يتمتع

به الشاعر عبد الرحمن البناء من كرم المحتد، وسلامة الصدر، وصلة الأخ لأخيه، والشقيق لشقيقه.

وهذا الشيخ محمد علي اليَعْقُوبي [٤٥]، من العلماء الشعراء من أهل النجف، له قصيدة في ضيف النجف الأشرف «الدكتور زكي مبارك» قوله:

وأبيك لو بُعث الشريفُ محمدٌ .:. حيًّا رأى ما يبتغي ويرومُ

أوضحتَ سرَّ نظامِهِ حتى بدا .:. بالعبقريةِ سرُّهُ المكتومُ

قدْ خُضْتَ بحرَ قريضِهِ مُستخْرجاً .:. درا، سواكَ عليْهِ ليس يقومُ

ونشرتَ لابنِ أبي ربيعةَ قبلَهُ .:. ذكراً به شأت الورى مخزومُ

روّجتَ سوقَ النثرِ بعدَ كسادِها .:. وبذاك يشهدُ (فنُّك) المعلومُ

وهو في هذه الأبيات يُشير إلى كتبه «عبقرية الشريف الرضي»، و«حبُّ ابن أبي ربيعة وشعره» و«النثر الفني في القرن الرابع الهجري» .. ثم يُشير إلى فصول زكي مبارك عن «ليلى المريضة في العراق»، بقوله:

أشجتْكَ ليلى وحدَها بسِقامِها .:. إنَّ العراقَ جميعَهُ لسقيمُ

لا ترْجُ من ليلى المريضةِ برءها .:. هيهات يشفى الدَّاءُ وهْو قديمُ

ومنها قوله مودِّعا إياه [٤٦]:

كن حيث شئت بمصر أو في غيرها فجميل صنعك في العراق مقيم

وقد اكتفى زكي مبارك بما ساقه من أشعار لهذا الشيخ ولم يذكر شيئا عن صفاته ولا عن مواقفه معه، وهكذا فعل مع الشاعر البناء أيضا " وهو هنا كراوٍ يراقب الشخصية ولا يتدخل في الأحداث، ولا يحاول النفاذ إلى باطن الشخصيات، ومعرفة ما يدور داخل منطقة اللاشعور، أو استشفاف بواعث

سلوكها، فهو ينقل" ما تراه الشخصية فقط كما لو كان ينظر عبر عينيها أو كما لو كان " شاهدًا غير منظور" يقف إلى جانبها"[٤٧].

ومما يلاحظ على طريقة زكي مبارك في رسم الشخصيات أنها تتفاوت من شخصية إلى أخرى، فتارة يسهب وتارة يوجز، وتارة يرهب، وأخرى يرغب، فعندما تكلم عن رجل عسكري هو مولود مخلص رئيس مجلس النواب، قال عنه : " الرجل الذي أفهم العالم أن من واجب الجيش الانجليزي أن يحسب ألف حساب للجيش العراقي"، وقد غلب على أسلوبه خفة الظل والدعابة كقوله عن السيد محمد بهجة الأثري : " كان حالي معه من الأعاجيب، كان جنيًّا يراني ولا أراه "، كما أنه يعمد إلى التصوير التشبيهي حين يرسم شخصية رجل يتسم بالجمال ، كقوله عن السيد تحسين علي " ملك في صورة إنسان، هو تحفة من الأريحية العربية جاد بها الله على الوجود".

وهناك أصدقاء أخرون تحدث عنهم بدون تطويل أو ذكرِ أحداث له معهم، ومنهم : ساطع الحُصَري [٤٨]، وإبراهيم أدهم الزَّهَاوي [٤٩]، إبراهيم حلمي العمر[٥٠] .

رابعا: العناية بالمكان في سرد زكي مبارك :

يعد المكان من أهم عناصر السرد؛ ذلك لأن الأحداث لا بد أن تقع في مكان، ولكل مكان جمالياته، وللمكان بُعد نفسي داخل النص، " إلى جانب وظائفه الفنية وأبعاده الاجتماعية والتاريخية والعقائدية التي ترتبط بالمكان ولا تفارقه، حتى إننا نسترجع هذه السياقات والأبعاد عند استرجاعنا للمكان نفسه أو ما يرتبط به"[٥١]

ويشير يوري لوتمان إلى ارتباط المكان بالإنسان قائلا : " إن نماذج العالم الاجتماعية والدينية والسياسية والأخلاقية العامة التي ساعدت الإنسان على مر مراحل تاريخه الروحي على إضفاء معنى على الحياة التي تحيط به، نقول : إن هذه النماذج تنطوي دوما على سمات مكانية"[٥٢] .

ومن أهم ما أنجزه زكي مبارك وهو في العراق في الفترة القصيرة التي قضاها هناك أنه زار المدن العراقية الكبرى التي لها تاريخ يرتبط بالحياة الثقافية والدينية والفكرية، ليس في تاريخ العراق فقط بل في العالم العربي والإسلامي، ولم تكن زيارته للترويح والمتعة فحسب، إنما كانت استحضارا للماضي العريق واسترجاعا لذكرياته، ويمكن أن نركز على أهم المعالم التي زارها وذكرها في الكتاب، وسنرى كيف كان مهتما بالمكان وأولاه عناية كبيرة، وكان كالرسام الذي يبدع لوحات مجسمة تتجلى فيها العناصر الفنية للصورة من لون وحركة وصوت، وسوف نقف على أهم المعالم التي وصفها وطريقته في الوصف وكيف يربط هذه الأماكن بتاريخها العريق، وربما بالعادات والتقاليد لأهلها أيضا، وذلك على النحو التالي :

١) بغداد : يشغل الحديث عن بغ مساحة كبيرة من الكتاب، ومعظم الوقائع فيها، وهي مسرح أحداث الحب بين ليلى وطبيبها، قال زكي مبارك عن بغداد إنها المدينة السحرية التي أوحت إلى قلمه خمسة آلاف صفحة في أشهر معدودات، ويصور حالته النفسية حال عبوره دجلة من الكرخ إلى بغداد فيقول : " وأنا في ذهول، فحدثتني النفس بحلاوة الغرق في النهر الذي وعى ما وعى، وضيع ما ضيع من أسرار القلوب، وقد تساءل

هو عن سر شغفه بالعراق فقال : " أنا في الواقع تلميذ بغداد، قبل ان أكون تلميذ القاهرة أو باريس ". (ليلى المريضة ص ١١).

ونراه يقول عنها بعد عودته إلى مصر، وهذا أكبر دليل على صدق مشاعره : " أنا ابن بغداد ، أنا ابن العراق .. الحمد لله الذي كتب أن أكون موصول العهد بأهل العراق .. الحمد لله الذي جعل لي مقام صدق في البلاد التي رفعت لواء الحضارة الاسلامية .. أنا ابن بغداد ، أنا ابن العراق .. أنا ابن بغداد ، أنا ابن العراق .. أنا أخ صادق لأبناء دجلة وأبناء الفرات .. أنا الصبُّ المشغوف بالبلاد التي عرفت بكاء الحمائم ، وظلام الليالي ونور القلوب [٥٣]

٢) البصرة : لماذا البصرة ؟ لأنها وطن الجاحظ والمبرد والحسن البصري وإخوان الصفاء، هكذا يبدأ زكي مبارك رحلته إلى البصرة ببيان الدوافع وراء هذه الرحلة، يقول : " إلى البصرة : المدينة التي ولدت فيها ليلى المريضة في العراق، على حد قوله (وهذا يؤكد أنها اللغة العربية) ، ولهذا يقول : " إلى وطنك يا ليلاي، إلى البصرة، إلى النخيل، إلى شط العرب، الذي تحترب في سبيله أمم وشعوب، إلى وطن الجاحظ، إلى وطن المبرد، إلى وطن مولاي الحسن البصري أمتطي القطار في ظلام الليل .. إلى البصرة .. إلى البصرة، إلى المدينة التي تجري من تحتها الأنهار، إلى مهد ليلى يطيب الإسراء " [٥٤].

ركب القطار من بغداد إلى البصرة وكان معه في القطار رفيقان؛ الأول الدكتور عبد المجيد قصاب : " طبيب يمثل عذوبة الروح ، وصفاء

القلب، وهو من خيرة الذين عرفتهم في العراق " [٥٥] والثاني السيد (ظالم) صحفي أديب لا تعرف في صحبته ضجر السفر ولا طول الطريق، وقد توهمت أن زكي مبارك يريد أن رفيقه أبو الأسود الدؤلي، وذلك لأن اسمه (ظالم) ٥٦ أيضا، وكونه يلقاه في البصرة تحديدا له دلالته، فالبصرة منشأ علم النحو، وبها ولدت ليلى المريضة في العراق كما يقول الكاتب .

ومن المناظر العجيبة التي رآها من القطار قبل البصرة بساعتين : سرب من الظباء الوحشية ذات الأجياد والعيون يجول في البيداء، وهذه أول مرة يراها، وعندما تلوح له البصرة من بعيد يهتف " الله أكبر ولله الحمد " وتكرار هذه العبارة يوحي بالنشوة والسرور ، وها هو يهتف مرة أخرى : " هذه هي البصرة ذات النخيل ، هذه هي المدينة التي تجري من تحتها الأنهار " [٥٧]، لقد وصل إليها بعد أن قضى في القطار بينها وبين وبغداد ثلاث عشرة ساعة، ويتغزل الكاتب في البصرة فيقول : " مدينة البصرة هي شيء فريد في دنيا الشرق ودنيا الغرب ، هي غريبة الغرائب ، وأعجوبة الأعاجيب، هي فوق الأوهام والظنون " [٥٨]

ويبين أسباب إعجابه بالبصرة، ويكبر ويهلل لأنه عرف أن اللغة العربية لا تزال تسيطر على مثل هذا الثغر الجميل، ثم يقول : " لقد كبرت وهللت حين رأيت وطن المبرد والجاحظ والحسن البصري وإخوان الصفاء "، ومن روائع تشبيهاته قوله : " هذا طريق النخيل وهو في بعض صوره أروع من غابة بولونيا "[٥٩]

" وما كاد المجتمع البصري المثقف يعلم بقدوم الأديب الكبير حتى هب لاستقباله ، ودعي لإلقاء محاضرة يتحف بها الجمهور المثقف، وقد طلعت الصحف البصرية تحمل هذا العنوان " الدكتور زكي مبارك يحاضر أبناء الفيحاء عن غابر مجد البصرة العلمي والأدبي والفلسفي "[٦٠]، وهذه المحاضرة في البصرة دعاه إليها الأستاذ عبد الرزاق إبراهيم مدير المعارف بها، ولما ذهب إلى نادي البصرة وجد الناس في انتظاره بالمئات "[٦١]، وكان يريد زيارة قبر الحسن البصري ولم يتمكن بسبب برد شديد ألمَّ به، وكان محموما، ويختم هذه الرحلة بقوله : " متى أعود إليك أيتها البصرة مرة ثانية ؟ متى أعود ؟ متى أعود ؟ "[٦٢]، وبعد العودة من البصرة إلى بغداد حبس نفسه أسبوعين أنجز فيهما كتاب " عبقرية الشريف الرضي ".

٣) كربلاء : عبر الكاتب الجسر إلى الكرخ، وركب سيارة سارت به ساعة، ومر في الطريق على بلدة تسمى الإسكندرية، ويرجح أنها البلدة التي ينسب اليها أبو الفتح الإسكندري بطل مقامات بديع الزمان، ويصف كربلاء وصفا مختصرا في خمسة أسطر لأنه مر عليها، ولم يطل مقامه بها، ولم يقض بها سوى لحظات، يقول : " وهي مدينة تحيط بها الخضرة من جميع النواحي، وفيها قتل الحسين كما هو معروف، وللحسين فيها ضريح لم أزره ، ولكني شهدت قبته العالية، وهي مكسوَّةٌ بالذهب الوهاج، وفي كربلاء ضريح آخر للعباس أخي الحسين، وهذان الضريحان يُفيضان النور على كربلاء، وقتل الحسين كان نعمة على هذه المدينة، فقد أصبحت بفضل مرقده من مواسم القلوب " [٦٣]

ويلاحظ على هذا المرور أنه سريع، ولم يهتم بالتعليم في كربلاء ولا بالمدارس، ولم يذكر شيئا عن أعلام هذه المدينة ولا عن عدد سكانها، كما فعل في مدن أخرى.

٤) النجف : ركب زكي مبارك سيارة من كربلاء إلى النجف، ومر بصحراء رأى فيها الضب لأول مرة، وكان في الصحراء ألوان من السراب، ويصف لحظة وصوله فيقول : " وبعد ساعة رأيت في الأفق ذهبا يتوهج، فحدقت فيه النظر لحظات ولحظات، فرأيته يزداد إشراقا إلى إشراق، فصح عندي أنه ذهب القبة العالية، قبة ضريح أمير المؤمنين كرم الله وجهه وعطر مثواه. ثم عبرت إلى النجف وادي السلام، وهو مقابر طوال عراض عرفت ملايين البشر من سائر الأجناس، ويذكر زكي مبارك شيئا عن معتقدات أهل هذه المدينة، ذلك أنهم يظنون أن من يدفن في وادي السلام لا يسأل في البرزخ، ويعلق على هذا بقوله : " وهو اعتقاد لطيف، فمن عزاء الإنسانية أن تعتقد أن لها معتصما من الحساب ولو إلى حين ". [٦٤]

ثم يقول : " وكذلك كان الدخول إلى النجف من باب السلام أي الموت "، وفي ظني أن الكاتب لم يكن موفقا في هذا المعنى، فباب السلام هو الباب الذي يدخل منه الحاج والمعتمر إلى الحرم المكي، وهو أيضا باب في المدينة المنورة يدخل منه الزائر إلى قبر النبي ❐ في الحرم المدني، وما سمِّي باب السلام في النجف إلا تيمُنا بهذين البابين، والله أعلم .

ويحدثنا الكاتب عن الفنادق في النجف ويرى أنها سيئة ومستواها لا يناسب هذا المكان الذي يؤمه الزائرون من كل مكان وهو يشبهها بالتي في

مصر حول مسجد الحسين رضي الله عنه، ثم يقول : " وانتهى بي المطاف في غرفة حقيرة في فندق حقير، وهو أعظم الفنادق في النجف "[٦٥] .

ثم توجه إلى الحرم الحيدري فزاره وطاف حول الضريح مرتين، يقول " فوجدت ناسا يقرأون أدعيات وصلوات، وحولهم نساء يبكين ورجال يبكون، فوقفت أسمع وأبكي، وهل في الدنيا بلاء مثل بلائي ؟ أنا العاشق المهجور الذي غدرت به ليلاه، ولو كانت ليلى واحدة لصبرت، ولكنهن ليليات ! " [٦٦] وهكذا يخرجك مبارك من الموقف المهيب إلى الحديث عن التشبيب، خالطا الجد بالهزل كعادته في معظم كتابه.

ويتحدث عن ضريح أخر هو ضريح الحبُّوبي [٦٧]، ولم يذكر مَن هو؟ لكنه ساق أبياتا من شعره، وعلق عليها قائلا : " وعند ذلك الضريح طال بكائي، فهذا شاعر قضى حياته في التغني بالجمال، ثم رآه النجفيون صوفيا فدفنوه بجوار أمير المؤمنين، وأنا أفنيت شباب في التغني بالجمال، ولم أجد غير العقوق " [٦٨].

وذهب زكي مبارك إلى بيت أحد أصدقائه هناك، وهو السيد محمد تقي آل الشيخ راضي، والذي دعا علماء المدينة كلهم للسلام على (العالم العلامة زكي مبارك) على حد قوله، وكان مما تحدث به إليهم أنه انتقد صاحب مجلة (الحضارة) الذي يدعو إلى تعديل المذاهب القديمة في التعليم، وقال لهم إن مذاهب التعليم في النجف كمذاهب التعليم في الأزهر، لا ينبغي أن تزول؛ لأن الأزهر حفظ اللغة العربية في عهد المماليك، والنجف حفظ اللغة العربية في الأتراك، ورعاية العهد توجب الإبقاء على

تلك الأساليب " وكان هذا الكلام منه مثار عجب ودهشة؛ لأنه صدر عن رجل متخرج في السوربون .

وعرف مبارك من أحوال طلبة العلم في النجف أنهم في بؤس وحالة من الفقر شديدة، وهذا ما أخبره به الأستاذ البلاغي صاحب مجلة (الاعتدال)، وبكى مبارك حين سمع أن عالما نجفيا أشار إليه في كتابه (عبقرية الشريف الرضي) جلس في صحن الحرم الحيدري يبيع كتبه ليسد ما عليه من ديون، ديون لم يجنها لهو ولا مجون، وانما جناها الخبز والماء " [٦٩]

ومن مظاهر احتفاء أهل النجف بزكي مبارك التفافهم حوله وسيرهم معه أينما سار، يقول : " ثم مضيت وطوفت بالنجف وحولي جيش من أهل العلم والأدب والبيان " ولا ينسى الكاتب أن يزود القارئ ببعض الألفاظ من البيئة العراقية مثل كلمة (دربونة) والتي ترادف كلمة (درب) في كلام أهل مصر، وكلمة (روشن)، يقول " ولذلك البيت روشن عليه برادة ... وفوق الروشن حمامتان تسجعان " [٧٠]

٥) الكوفة : يقول الكاتب : " واستيقظت في اليوم التالي مبكرا لأرى الكوفة ولأقف بأطلالها "[٧١]، ولكن ما الذي يدفعه لرؤية الكوفة ؟ ماذا فيها من رائحة التاريخ ؟ لقد كانت ذات يوم عاصمة الخلافة الإسلامية في زمن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، لذلك انطلق يشاهد مسجدها الذي طعن فيه عليٌّ، والذي فارَ في زاويته التنُّور أيام نوحٍ عليه السلام ...ثم يقول : " لقد شهدت بعيني كيف طعن علي بن أبي طالب، ورأيت دمه رأي العيان، ورأيت المكان الذي خطب فيه الحَجَّاج [٧٢] خطبته المشهورة، الحجاج

الهائل، الذي أصلح العراق، وأفسد العراق، ورأيت قبر مسلم بن عقيل رسول الحسين، ورأيت كيف يبكي الناس على قبره، وكأنما قتل بالأمس، فتذكرت أن العراق يحوي ثروة عظيمة جدا من الحماسة الوجدانية ... "

والقارئ يلاحظ مدى التكثيف الذي يعمد إليه الكاتب، وكيف يحشد كمية من المشاهد المتجاورة لفظيا، والتي هي متباعدة كل البعد زمنيا.

٦) الحِيـرَة : يقول " ومضيت أتلمس آثار الحيرة البيضاء ، مضيت أتلمس آثار الخورنق، فلم أعرف ولم يعرف رفاقي أين الخورنق ؟ ... مضينا إلى أطلال الخورنق مع سائق جهول فقادنا إلى مكان موحش ، فقال الرفاق : ليس هذا مكان الخورنق ، فقال السائق : أنتم تبحثون عن أحجار، وههنا أحجار " [٧٣] . وإنه لجواب مقنع لأولي الألباب؛ لأن العرب لم يكونوا أصحاب حضارة في فن العمارة كما فعل الفراعنة الذين اتخذوا من أحجارهم صروحا هائلة هي الأهرامات التي لاتزال منذ آلاف السنين تشهد بعظمة بنائهم .

ويستدعي زكي مبارك بعض الذكريات عن قصر الخورنق الذي كان للنعمان ، ويلخّص العظة والعبرة من هذا المشهد قائلا : " ما أشقاك في دنياك وأخراك أيها النعمان ! أنت قتلت سِنِمَّار ليبقى سر الخورنق ، فهل بقي الخورنق ؟ .. اعترف أيها الملك بعظمة الشعر والشعراء ، فنحن الذين حفظنا مكانك في التاريخ ، ولولا الشعراء لطمس الزمن مكانك في التاريخ "

وسنمار هذا هو البنَّاء الرومي الذي بنى القصر، ولما أتمه أمر النعمان بأن يُلقَى من فوقه ، فقُذف من أعلى القصر، فتقطع. وضربت العرب به المثل: جزاه جزاء سنمار [٧٤].

٧) كركوك : وصل إليها الكاتب بعد عشر ساعات في القطار منذ ترك بغداد، وذكر أن اسمها أيضا (شهر زور)، وفيها تشهد العين لأول نظرة مشاعل اللهب، لهب النفط، وقابل رئيس البلدية الشيخ حبيب الطالباني، وعرّفه بأبنائه وأقربائه، وجرى حديث عن اللغة العربية، فعرف أن أهل كركوك بعضهم من الأكراد، وبعضهم من التركمان، وأنهم يتكلمون الكردية والتركية بأسهل مما يتكلمون العربية [٧٥].

٨) إربيل : وصل زكي مبارك إلى إربيل في وقت القيظ، وقال إنها بلد المبارك بن حمد بن المبارك ، ولم يعرِّف به ، وذكر أن بها قلعة تحدثت عنها كتب التاريخ، وزار المسجد وشهد بعض الأسواق، وراعه أن تقوم أكثر المنازل على ربوة عالية تستدرج شياطين الشعر والخيال، ولم يستطع أن يعرف مكان مدرستها، أو معلومات عن عدد سكانها .[٧٦]

وقد أخطأ في اسم المبارك بن حمد، والصواب أنه المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي الإربلي، المعروف بابن المستوفي، وهو مؤرخ ومن العلماء بالحديث واللغة والأدب، ولد بإربل، وولي فيها استيفاء الديوان ثم الوزارة. واستولى عليها الصليبيون، فانتقل إلى الموصل، وتوفي بها. وهو صاحب كتاب " تاريخ إربل "[٧٧] ، و(إربيل) تبعد عن بغداد حوالي

٣٦٠ كم، وتبعد عن الموصل ٨٩ كم، ولهذا اتجه الكاتب بعدها إلى الموصل .

٩) الموصل : بدأ الكاتب حديثه عن الموصل بقوله : " ثم اتجهت نحو الموصل فراعني أن أرى حقول الحنطة على جانبي الطريق، وهي تشهد بما في تلك البقاع من الخيرات ... " [٧٨] ثم أعقب ذلك بالتكبير والحمد.

ثم مر على مسجد يونس بن متى عليه السلام فقال : " هذا مسجد النبي يونس، وهو فوق هضبة عالية، وكأنه (نوتردام دي لاجارد) التي تروع من يدخل مرسيليا أول مرة " ولم يذكر اسم القرية التي مر بها وهي (نينوى)، وقد ذكر ياقوت أن الموصل مدينة قديمة على طرف دجلة ومقابلها من الجانب الشرقي نينوى، وقال عن نينوى : هي قرية يونس بن متى، عليه السّلام بالموصل [٧٩]

ولم يطل وصف زكي مبارك للمسجد، ويظهر أنه لم يدخله، واكتفى بالمرور به، وكنت أنتظر أن يذكر شيئا من قصة يونس عليه السلام وقد التقمه الحوت وأن يقف عند قبره ويصف مسجده وصفا دقيقا، ولكن لم يفعل لأنه كان مهتما بأخبار ليلى وآل ليلى في الموصل، ولكني أسوق طرفة من طرائفة التي تثير الضحك وتدل على خفة ظله، فقد استوقفه الشرطي هناك وسأله عن اسمه، فقال : زكي مبارك، فسأله الشرطي : الدكتور ؟ فأجاب : نعم فابتسم وقال : " عرفت أخبارك ولكن حدثني عند من تنزل ؟ " فقال : عند آل ليلى ! [٨٠].

وقد فوجئ في الموصل بالأستاذ محمد بهجت الأثري، وهو يقول له : أتراك تُفلتُ من يدي يا دكتور ؟ من جاء بك إلى الموصل ؟ ثم أخذه إلى المدرسة الثانوية، ثم حدد معه موعدا في المساء للتلاقي في نادي الجزيرة.

ومن المعالم المهمة في الموصل (المنارة الحدباء)، وقد حاول أن يصعدها رغم صعوبة ذلك ومشقته عليه، ويسوق معلومات عنها وعن سبب تسميتها فيقول : " سميت هذه المنارة الحدباء لغلطة هندسية أورثتها الاحديداب، ومن أجلها سميت مدينة الموصل الحدباء على طريق المجاز المرسل، وباسم الحدباء سمي نوع من الخمر يستقطره الموصليون، وكذلك انتقل الاسم من المنارة إلى المدينة إلى الشراب .. والمنارة الحدباء هي أعظم منارة في أقطار العراق، ودرجاتها فيما سمعت مائة وثلاث وتسعون درجة، وهي منارة الجامع الكبير ... وهو قديم يرجع تاريخه إلى ثمانمائة سنة... "

ثم زار قبر أبي تمام ويذكر أنه لم يقرأ عنده الفاتحة، وإنما قرأ بيتا من شعره وهو قوله :

أحبابه ما يفعلون بقلبه ... ما ليس يفعله به أعداؤه

ومن مظاهر احتفال أهل الموصل به أنهم توافدوا على الفندق الذي يقيم فيه للسلام عليه، وأقام له الدكتور عبد الأحد عبد النور وليمة غداء، وأقام له آخر وليمة عشاء .

ومن أهم معالم الموصل المكتبة العامة أو " مكتبة غازي " ، وهي تقع على شاطئ نهر دجلة، ورأى فيها أفواجا من المطالعين هم جميعا من الطلاب، وقد وجه نقدا للمكتبة، حيث إن عدد الكتب بها قليل، ولا يتناسب مع ماضي

الموصل ولا حاضره، فبها ثلاثة آلاف وثلاثمائة وسبعين كتابا، وهي تساوي ثلث مكتبته الخاصة بمصر، كما أنه ذكر أسماء بعض المجلات والكتب التي رآها فيها . [٨١]

وعلى الناحية الأخرى من شاطئ النهر حديقة غناء تسمى (حديقة الشعب) أنشئت بعد استقلال العراق وتشبه حديقة النباتات في باريس، ويشير إلى ظاهرة لافتة للنظر من التقاليد الاجتماعية لأهل الموصل التي تدل على احتفاظهم بآداب الاسلام وتعاليمه، أنهم قسموا الحديقة قسمين؛ أحدهما للرجال والآخر للنساء.

ثم زار بعض مدارس البنين والبنات، وحضر حفلة ختامية في احدى المدارس، يقول " فرأيت الخطب تنقسم إلى قسمين قسم باللغة العربية، وقسم باللغة الانجليزية، فعلوت منصة الخطابة وأعلنت أنه لا يجوز أن تكون الخطب المدرسية بغير اللغة القومية، وفطن الحاضرون لقيمة هذا النصح فألغوا الخطب الإنجليزية من منهج الاحتفال ... وما كان من همي أن أحارب إنجلترا في كل بلد أحل فيه، ولكن كان من همي أن أدل العرب في كل أرض على قيمة العصبية القومية، وهل يسمح الإنجليز . بلادهم أن يكون للغات الأجنبية صوت في الحفلات المدرسية ؟ "[٨٢] .

ونرى أن السارد جمع بين وظيفة : وظيفة الحكي التي يقوم بها كراوٍ للأحداث، كما يؤدي وظيفة أخرى مهمة هي "الوظيفة الإبلاغية"، التي " يهدف السارد من ورائها إبلاغ رسالة ما للقارئ، سواء كانت تلك الرسالة الحكاية نفسها أو مغزى أخلاقيًا أو إنسانيًا"[٨٣].

ثم زار دير مارجيوارجيس في ضواحي نينوى، وكان هدفه من زيارة الدير أن يحقق الفروق بين الدير عند الرهبان والزاوية عند الصوفية [٨٤]، وهو موضوع اهتم به في كتابه التصوف الإسلامي، والتقى بالرهبان وحدثهم عن ليلاه، وعن عدد سكان نينوى كما ورد في التوراة، ثم ذهب إلى أحد الملاهى وسماع المغنية المصرية (بثينة)، ولاحظ أن الغناء في ذلك الملهى أفانين مختلفات، " ففيه أغان عربية، وأغان تركية، وأغان كردية، وهذا التنوع يمثل ما في الموصل من اختلاف الأجناس، ولن يمر إلا قليل من الزمن حتى تصبح الأغاني كلها عربية ... "[٨٥]

وأدع زكي مبارك يتحدث بنفسه عن احتفاء أهل الموصل به، فعبارته مفعمة بالاعتراف بالفضل والجميل، يقول : " وتفضل فقهاؤهم فزاروني في الفندق، ودعوني لزيارة المدارس الدينية، وأطلعوني على ما عندهم من غرائب المخطوطات، وصحبوني إلى زيارة المساجد والمعابد والمزارات، وتفضل فريق من أعيان الموصل فأروني نظام المحاكم وأروني عين الكبريت، وتلطف رئيس نادي الجزيرة السيد نجم الدين جيلميران، وهو من تلاميذي القدماء، فدعا أهل الموصل لسماع محاضرة ألقيتها عن صلة الأدب بالحياة، وأعلن أن الدكتور زكي مبارك هو أجمل هدية قدمتها مصر إلى العراق " [٨٦]

وأخيرا يصرح بأنه طوَّف بأرجاء العراق، وأن آخر بلد هو الموصل .. ويتباهى بما حققه من رحلات وما أحاط به من معلومات قائلا : " هذه خريطة العراق بين يدي ، وقد زرت من الحواضر والدساكر ما لم يزره

الشريف الرضيّ "[٨٧]، وقد قضى زكي مبارك في الموصل خمسة أيام هي أطول مدة قضاها في بلد سوى بغداد، وفي النهاية يقدم تقريرا عاما عن الموصل يقول فيه : "الموصل مدينة جميلة ، ولكن الغريب لا يصل منها إلى شيء، وهي البلد الوحيد في العراق الذي يعيش فيه اليهود فقراء، وجسر الموصل نفسه يوصي بالبخل، فهو يكاد يحبس ماء دجلة، فلا يخلص منه الماء إلا في خرير يشبه الصوت المبحوح ، وشوارع الموصل تقفز من السابلة في مطلع الليل، كأن المدينة تهجع عمدا لتستعد لاستئناف الكفاح في الصباح " [٨٨] . ويعبر الكاتب عن إعجابه بهمة أهل الموصل وتقديسهم للعمل، فيقول : " لو كنت من رجال الاقتصاد لأثنيت على أهل الموصل ، فالاقتصاد هو الخلق الوحيد الذي ينقص العرب، ولو كان المسلمون اختصموا في سبيل المذاهب الاقتصادية كما اختصموا في سبيل المذاهب الدينية لانغرست فيهم عواطف الحرص على الثروة فعاشوا سعداء وأقوياء [٨٩]".

خامسا: ملامح شخصية السارد :

اعتمد زكي مبارك في سرده على طريقة التقديم البانورامي، وهي الطريقة التي " يهيمن فيه الراوي على العملية السردية، لنجد (الراوي) مطلق المعرفة "[٩٠]؛ ولهذا نجد أنه تحدث بضمير المتكلم طوال سرده، لكونه ملما بكل ما يدور حوله، ناضها بمعظم الأفعال، وحاله كحال هذا المؤلف الذي جهد " أن يؤاخي بين دوري الراوي شاهدا ومشاركا، مؤاخاة طبيعية في مزيج منتظم "[٩١].

كذلك قام زكي مبارك بالوظيفة السردية: وهي الوظيفة الأساسية للراوي، حيث قّدم الأحداث ومهد لخطاب الشخصيات فنقل كلامها وعبر عن أفكارها ومشاعرها، ووصف الأماكن والأشياء، وهو ما قرره جيرار جنيت بقوله :" يبدو غريبًا للوهلة الأولى، أن يسند إلى أي سارد كان دور آخر غير السرد بمعناه الحصري"[٩٢].

وينطبق ذلك تماما على شخصية الراوي / زكي مبارك، حيث إنه في كثير من المواضع يلعب دور السارد الشاهد، وخاصة في المناسبات العامة التي يتحدث فيها عن أحوال المجتمع العراقي وما يتسم به على جميع الأصعدة؛ السياسية والاجتماعية والفكرية.

فمن الناحية السياسية لم يفت زكي مبارك أن يلم بشيء عن الأوضاع السياسية في العراق حينئذ، ويذكر أن مجلس النواب كان يستعد لدرس معاهدة الحدود بين العراق وإيران، وكان شط العرب محور النزاع، وقرر الكاتب أن يحضر هذه الجلسة، فمضى إلى رئيس الكُتَّاب بالمجلس النيابي، وهو صديقه العزيز، فطلب تذكرة لحضور تلك الجلسة التاريخية، ورأى خريطة شط العرب (موضع النزاع) مرقومة بالطباشير على لوحة سوداء، يقول :" وكان الجو كله دخانا في دخان، وكنت أكاد أختنق، ثم وقف وزير الخارجية يخطب، وما كان أروعه في ذلك اليوم، فقد بدد ما ران على صدري من ظلمات، وتدفق الخطباء بين معارض وموافق، وكانت جلسة برلمانية حقا وصدقا، كانت جلسة صريحة أبدى فيها النواب آراءهم بألفاظ لا مداورة فيها ولا التواء ... وخطب وزير الخارجية خطبتين في ذلك اليوم، وكان بالتأكيد أشجع الخطباء، ولن أنسى أنه

قال : كان في نيتي أن أقترح جعل هذه الجلسة سرية، ثم رأيت أن تكون علنية ليرى الجمهور بعينه أن الحكومة حريصة على أرض الوطن كل الحرص .[٩٣] وسأل عنه وعرف أنه توفيق باشا السويدي [٩٤]، وأنه سوربوني مثله .

وقد أعجب الكاتب بالجلسة البرلمانية كل الإعجاب، ولكن شيئا واحدا آذاه هو أن حجة الموافقين على معاهدة الحدود مقصورة على أن إيران جارة عزيزة، ويعلق قائلا : "فما الذي كان يضيركم لو قلتم إن إيران أمة إسلامية، وإن المسلمين يجب أن يتسامح بعضهم مع بعض، نحن مسئولون عن الإخوة الإسلامية أمام الله، وأمام التاريخ ، ... إن العداوة بين العرب والفرس أجج جذوتها ناس من الأدباء، فما الذي يمنع أن يقوم فريق من الأدباء المصلحين فيخلقوا الحب بين إيران والعراق ؟" [٩٥]

وينشرح صدر الكاتب لما يراه من توفيق في الإصلاح بين البلدين ويشيد بهذا الود الناتج عن المعاهدة، يقول : الحمد لله، تم الصفاء بين إيران والعراق ، ومرت معاهدة الحدود بسلام [٩٦].

والملاحظ أن الكاتب لم يكتف بالمشاهدة، ولكنه أخذ يعلق على الأحداث، وهذا ما يعرف بالراوي المتطفل أو المندس " الذي يتجاوز تحرير الوقائع وتسجيل الأحداث إلى التدخل بتعليقات ذاتية انطباعية تتعلق بالأحداث أو تتصل بالشخوص " [٩٧]، كما يلاحظ أيضا أن الكاتب أحدث تداخلا بين العام والخاص، وذلك بطرحه قضية سياسية ذات خطر كبير، وأسهم برأيه وموقفه إزاءها.

وعلى الرغم من أن الراوي في المثال السابق يقع خارج نطاق الحكاية، " إلا أن القارئ يشعر بوجوده من خلال ما يسوقه من تعليقات على ما يجري من

أحداث انطلاقًا من وجهة نظره الخاصة، ووفقًا لموقفه الفكري والأخلاقي، أو من خلال ما يقدمه من تفسير للأحداث بحيث يسلط الضوء عليها موضحًا، وشارحًا أسبابها "[٩٨].

ومن الناحية الاجتماعية نرى الكاتب يصف الحياة الاجتماعية بل ويشارك فيها : فعن أوضاع المرأة يقول : " وما لي لا أقول الحق كله، فأقرر أن أهل العراق في النجف وغير النجف ينظرون إلى سفور المرأة بعين الارتياب ؟ مالي لا أذكر بصراحة أكثر وزراء العراق يكرهون حضور زوجاتهم في الحفلات الساهرات ؟ مالي لا أنصُّ – للحقيقة والتاريخ – على أن وزراء العراق أكثرهم من رجال الجيش، والجيش يطبع أبناءه على الخشونة والصرامة والعنف، وأنهم لأجل ذلك من أغير الناس على كرامة ربات الحجال ؟ "[٩٩]

وهذا من الشهادات المهمة للعراقيين التي يشيد فيها الكاتب بعاداتهم وتقاليدهم وأخلاقهم التي تنأى عن كل قبيح، وتعتز بكل طيب ومليح، ويؤكد على هذه الفضائل في موضع آخر فيقول : " وألحت السيدة نجلاء في أن تتفضل بالسلام عليه، فاعتذرت بأن سلام الفتاة على الفتى وهي ليست من محارمه أدب تنكره حرائر العراق "[١٠٠]

وشارك الكاتب في بعض الحفلات والسهرات وكتب عنها مصورا كل التفاصيل التي عنت له، ومنها حفلة رئيس الوزراء التي يقول عنها " كانت غاية من الجفاف، فلم يشرب فيها المدعوون غير أقداح الماء القراح، وقد تشاكى السامرون بعضهم إلى بعض "[١٠١]، وحضر حفلة أخرى في بغداد قال عنها " في ليلة رأى مثلها الرشيد، وإن تعب الواصفون في التذكير بليالي الرشيد، هي ليلة

بغدادية لا قاهرية، لأن القاهرة حين تعرف أمثال هذه الليلة تنقلها نقلا عن الغرب، ويختلف حولها الفقهاء، أما بغداد فتعرف الليالي الساهرة عن الآباء والأجداد، هي ليلة سيذكرها من رآها وستحتل أقطار ذهنه الى اللحظة التي يعاني فيها سكرات الموت، هي ليلة تمثل الفتوة العراقية، وتذكّر الجاهلين بأن الشعب الطروب لن يموت " [١٠٢]، ويظهر من هذا الثناء البالغ ما تميزت به هذه السهرة وتلك الليلة التي لم ير الكاتب نظيرا لها حتى في مصر.

ومن السهرات التي حضرها زكي مبارك وعني بوصفها سهرتان : السهرة الأولى لأمين العاصمة ، والسهرة الثانية : حفلة الجمعية الطبية العراقية ، يقول عن الأولى : " نحن في اليوم الرابع من أيام المؤتمر الطبي العربي الذي بث الابتهاج والانشراح في أرجاء بغداد، وأنا أمضي الى مدرج كلية الطب لألقي محاضرتي عن المصطلحات الطبية ...، ويقوم سعادة الأستاذ على الجارم بك فيلقي محاضرته في صوت مطلول كأنداء الصباح، ثم يقوم الشيخ السكندري فيلقي محاضرة نفيسة جدا تضج لها الأرض وتطرب السماء، ويصيح الدكتور القيسي : تحيا مصر، تحيا مصر " [١٠٣].

ودُعي زكي مبارك للغداء في مضارب بني تميم، وذكر اسم صاحب المأدبة الشيخ حسن سهيل، وأسهب في وصفها وما فيها من الكلمات والخطب، وخطب عميد بني تميم ثم الشيخ السكندري، وطلب من زكي مبارك أن يلقي كلمة العراق ويخطب باسم العراق، فيقول في خطبته : " إن حياتي طابت في العراق، وإنني لا أحب الرجوع إلى مصر ... ومن واجبي أن أسجل في هذه

المذكرات أني لم أر في حياتي أياما أطيب من أيام العراق، وسأظل من أنصار العراق فيما بقي من حياتي، حيا الله العراق ، ونصر الله العراق " [١٠٤].

وهذه سهرة أخرى في الساعة التاسعة من مساء يوم ١٢ فبراير سنة ١٩٣٨م، في بهو أمانة العاصمة، ونلاحظ العناية بالتفاصيل، وتحديد المكان والزمان وذكر معظم أسماء الأشخاص الذين تعرف عليهم في هذه الحفلات)، ومن الشخصيات التي قابلها هناك الطبيب الشاب الدكتور شوكت الزهاوي : الطبيب النبيل الذي سيقبّل من أجله ثرى بغداد يوم يفارق بغداد " [١٠٥]، ثم أسهب في وصف تفاصيل السهرة، فقال : " وتنقسم السهرة إلى قسمين : قسم عربي، وقسم أفرنجي، ويتجه هو القسم العربي فيجد الوزراء جميعا، وعلى رأسهم فخامة الرئيس، يقول : وأخرج عن وقاري فأمضي إلى رئيس الوزراء وأقول : سيدي، أتسمح أن أسجل في مذكراتي أن إيثارك الجلوس في المرقص العربي هو في ذاته تزكية نبيلة للثقافة الذوقية في حياة العروبة ؟ فيبتسم ابتسامة القبول " ؟

وأما عن النشاط الفكري والثقافي الذي مارسه الكاتب في العراق فقد امتاز بالنشاط المتميز والهمة العالية، ومن مظاهر ذلك النشاط المحاضرات التي ألقاها بكلية الحقوق، ذلك أن أول عمل قام به بالإضافة إلى عمله في دار المعلمين العالية، الاتفاق الذي جرى بينه وبين عمادة كلية الحقوق لإلقاء مُحاضرات أدبية عامة، فكانت شخصية « الشريف الرضي» الشاعر العراقي الكبير موضوعاً لتلك المحاضرات التي بدأت أولاها في بداية ديسمبر من عام ١٩٣٧م تقريباً. وقد كان لهذه المُحاضرات (عرضاً ومادةً وأسلوباً) أثرها البعيد في الأوساط الأدبية والثقافية في العراق وخارجه ، والتي جمعت في كتاب «عبقرية الشريف

الرضي» والذي يقول عنه : " ظهر كتاب (عبقرية الشريف الرضي) منذ أسابيع، وقد استقبله العراقيون أكرم استقبال " ١٠٦وهذا يدل على مدى ما يتمتع به الشعب العراقي من اهتمام بالأدب، وعناية بالثقافة .

ويحدثنا الكاتب عن الأندية الأدبية في العراق ويذكر أنه كان يزور نادي القلم، ويَلقَى هناك أصدقاءه ويُلقي شعره، ويسمع أشعارهم، ولم يسهب في الحديث عن الأندية في هذا الكتاب الذي نتناوله بالتحليل والدرس، ولكني أحيل القارئ إلى كتابه (وحي بغداد)١٠٧، ففيه شرح مفصل لما يدور في الأندية، والدور الذي تقوم به.

وشارك زكي مبارك في إلقاء المحاضرات بمحطة الإذاعة العراقية، يقول : " تفضل سكرتير محطة الإذعة العراقية فدعاني لالقاء محاضرة عن الحكم العطائية ، وأنا فيما يظهر رجل خداع ، فقد ظن السيد جميل فؤاد أني أصلح الناس للكلام عن حكم ابن عطاء الله، ولعل حياتي في بغداد هي التي هدته إلى ذلك، فقد رآني أحفظ آداب الصيام وأؤدي الفرائض والنوافل فظنني رجلا تقيا، ونسي هذا الأديب أن الغريب لا فضل له في التخلق بمكارم الأخلاق، وهل يستطيع رجل مثلي أن ينحرف عن الصراط المستقيم في بغداد "١٠٨

ونلاحظ هنا أن أسلوبه يمتاز بالصراحة والجرأة فهو يعترف بأنه ليس أهلا لهذه الموضوعات التي لا يتقنها إلا أهل الصلاح والتقوى، وعلى كل حال أرى في هذا الرياء مدحا لأهل العراق ولمجتمعهم الملتزم بأخلاق الإسلام، حتى إن من يقيم بينهم لا يمكنه أن يظهر فسقا أو يرتكب حماقة أو انحرافا، ومن سمات

هذا المجتمع أنه لا يسمح لأحد أن يجاهر بالفطر في رمضان، وإلا يعاقب، ولا تباع الخمور في الأماكن العامة والمقاهي .

وحضر زكي مبارك اجتماعات المؤتمر الطبي العربي الذي انعقد في بغداد في فبراير من عام ١٩٣٨م، والتي أحدثت دويا هائلا في الأوساط العلمية والثقافية في بغداد، وقد حضرها الكاتب ووصفها وصفا مفصلا.

سادسا: من الخصائص الأسلوبية للكاتب :

يتميز أسلوب زكي مبارك السردي بخصائص تجعله فريدا من نوعه، فهو خفيف الظل، يخلط الجد بالهزل، والصدق بالكذب، والحقيقة بالخيال، ومن هذه السمات ما يلي :

١) كثرة الاستطراد : من سمات أسلوبه الاستطراد الكثير الطويل، وهو الخروج عن الموضوع وهو من سمات أسلوب معظم القدماء ولاسيما الجاحظ الذي يقول : " ولا بأس بذكر ما يعرض ما لم يكن من الأبواب الطّوال التي ليس فيها إلا المقاييس المجرّدة، والكلامية المحضة، فإن ذلك مما لا يخفّ سماعه ولا تهشّ النفوس لقراءته، وقد يحتمل ذلك صاحب الصناعة، وملتمس الثواب والحسبة، إذا كان حليف فكر، أليف عبر، فمتى وجدنا من ذلك بابا يحتمل أن يوشّح بالأشعار الظريفة البليغة، والأخبار الطريفة العجيبة، تكلّفنا ذلك، ورأيناه أجمع لما ينتفع به القارئ"[١٠٩].

ويذكر علة الاستطراد في موضع آخر من كتبه فيقول : " جعلت فداك، إنما أخرجك من شيء إلى شيء، وأورد عليك الباب بعد الباب، لأن من شأن الناس ملالة الكثير واستثقال الطويل وإن كثرت محاسنه وجمت فوائده، وإنما

أردت أن يكون استطرافك للآتي قبل أن ينقضي استطرافك للماضي، لأنك متى كنت للشيء منتظرا وله متوقعا كان أحظى لما يرد عليك واشهى لما يهدى إليك، وكل منتظر معظم، وكل مأمول مكرم، كل ذلك رغبة في الفائدة، وصبابة بالعلم، وكلفا بالاقتباس، وشحا على نصيبي منك، وضنا بما أؤمله عندك، ومداراة لطباعك، واستزادة من نشاطك. ولأنك على كل حال بشر، ولأنك متناهي القوة مدبر".[١١٠]

وقد عد النقاد الأوائل الاستطراد لونا من ألوان البديع، قال أبو هلال العسكري : " الاستطراد أن يأخذ المتكلّم فى معنى، فبينا يمرّ فيه يأخذ فى معنى آخر؛ وقد جعل الأول سببا إليه ... " [١١١]

وهكذا كان زكي مبارك ينتقل من موضوع إلى آخر ثم يعود منه ثانية إلى الموضوع الأول، ومن ذلك ذكرياته حين كان يعمل بالتدريس وحين كان مفتشا بوزارة المعارف [١١٢] . ولقد عاد مرارا إلى الحديث عن أيامه في باريس وقد تكرر كثيرا، ومن ذلك قوله :

" كيف ألقى ليلى؟ تلك هي النقطة، كما يقول لافونتين!

ألقاها بالتجارب التي أفدتها في باريس، فقد وردتُ مدينة النور أول مرة في سنة ١٩٢٧ وكنت سمعت أنها مدينة تموج بالهوى والفُتون، فكان أكبر همي أن أعيش فيها عيش المجانين بعد أن عانيت الأمرَّيْن من عيش الجفاف في شارع الحمزاوي وعطفة الجمالية!

ودخلت السربون، سقاها الغيث وجعل الله لها لسان صدق في الآخرين، فكانت عيني لا تقع على الأساتذة، وإنما كانت تقع على الطالبات، وهن في

دروس الأدب أكثر من الطلاب. والفتيات هناك يفهمن وحي العيون، وكان يتفق أن تلقاني فتاة بعد المحاضرة فتقول: من فضلك يا سيد، هل عندك مذكرات عن دروس المسيو شامار؟ فأجيب: نعم، يا آنستي! فتقول: هل تتفضل فتعيرني إياها لأنسخها ثم أردها إليك؟ فأقول: وهل لمثلي أن يرفض ما تطلب هاتان العينان! فتنظر الفتاة إليّ نظرة سخرية وتنصرف!

وحدث مرة أن قالت لي فتاة ريَّا الجسم كأنها من دمياط: هل لك يا سيد أن تتفضل فتعيرني مذكراتك عن دورس المسيو مورنيه؟ فقلت: لك ذلك يا آنستي، ولكني لن أعود إلى السوربون إلا بعد يومين. فهل أستطيع أن أراكِ غداً عندي في الساعة الخامسة لأقدم إليك المذكرات؟ فأجابت بالقبول بعد أن استفهمتْ عن اسم الشارع ورقم البيت.

وما كاد يحين الموعد حتى كانت المائدة مجهزة بأطيب ما تعرف فرنسا من ألوان الشراب. ثم مضت ثوان ودقائق وساعات، ولم تحضر الفتاة، عليها وعلى أمها اللعنات!

وفي ذات يوم قالت إحدى زميلاتي في الدرس إنها تجيد الرقص، فقلت إني لا أحسن منه غير (الحنجلة)، ورجوتها أن تعينني على إتقان ذلك الفن الجميل، فأجابت جواباً كله إغراء.

ولكنني اشترطت أن يكون ذلك في غرفتي حتى لا يعرف أهل باريس أنني رجل (غشيم)، وانتظرت، ثم انتظرت، ثم انتظرت، ولم تحضر الراقصة الحسناء!

ولم تمض أسابيع حتى شاع في جميع أروقة السوربون أني فتى ماجن خليع، فكنت ألقي أطيب التحيات ولا يجيبني مجيب. والشيطان يشهد أني كنت في ذلك العهد أعظم مغفل عرفته باريس.

ونظرت فرأيت فتياناً أقل مني فتوة وجاذبية يعيشون في ظلال الحب عيش الملوك، فعرفت أنهم يحسنون ما لا أحسن من فن الغرام، وللغرام فنون .

ولكن أين أذهب؟ لقد ضاع حظي في كلية الآداب، فهل أذهب إلى كلية العلوم؟ وكيف وهي أيضاً من السوربون؟ فلم يبق إلا أن أذهب إلى كلية الطب لأقيم فيها تجارب الحب من جديد، بعيداً عن جو الأراجيف الذي خلقتُه خلقاً بفضل الغفلة والجهل .

وكانت فرصة عرفت فيها قيمة الشر في خَلْق الرجال. فلولا الحب ما عرفت كلية الطب؛ ولولا الطب ما شرفتني الحكومة المصرية بمداواة ليلى المريضة في العراق .

أقول إني ذهبت إلى كلية الطب بعد أن صقلتني التجارب، وبعد أن عرفت أن من العيب أن أخيب في باريس وأنا شاعر سنتريس؛ فلم تمض أيام حتى كنت في تلك الكلية فتى الفتيان. وبيان ذلك أني كنت أخفي عواطفي كل الإخفاء، فكنت ألقى الفتاة فلا أحدثها عن عينيها وخديها وشفتيها ونهديها – وما أجمل نهود الفتيات في باريس! – وإنما كنت أسارع فأتحدث عن حدائق الحيوانات في القاهرة وأقول إنها أجمل ما يعرف العالم من حدائق الحيوان. فإن اعترضت إحدى الفتيات وفضلت حدائق الحيوان في لندن تحمست وقلت إن هذا مستحيل، لأن مصر هي البلد الوحيد الذي يطيب فيه العيش لأنواع الحيوان!

وما كنت أكتفي بهذا، بل كنت أخترع أسماء وهمية للباحثين والمفكرين، فكنت أقول إن بلدنا هو الذي نبغ فيه فلان وهي أسماء تحلى بها بعد ذلك بعض الناس!

وفي أثناء تلك الأحاديث الوهمية تجول عيناي في أعطاف الفريسة الحسناء، فإن بدا لها أن تعترض علي ما تقول عيناي، أنكرت ما تقول عيناي، وهل كنت مسئولًا عما تقوله عيناي؟ وما هي لغة العيون؟ وهل للعيون لغة؟ إنْ هذا إلا اختلاق!

وما زلت أوغل في المداهنة والنفاق حتى تقدمت إحدى الفتيات وقالت: ما أجمل عينيك يا مسيو مبارك! فتكلفت الغضب وقلت: أنا أكره المزاح! فطوقتني بذراعيها وقالت: أنا أحب الشبان العقلاء! فقلت: وأنا أحب المجانين من الفتيات؟ وكانت لحظة ستنصب لها الموازين يوم يقوم الحساب!

وفي ظلال هذا الروح الطيب مضيت لعيادة ليلى، وقد صممت على الخوض في أحاديث لا تتصل بالحب. وما قيمة التجارب إن لم تنفع وأنا في ديار الاغتراب؟ " [١١٣]

وعموما، ليس استطراد زكي مبارك من النوع المخل بالتأليف، فهو يربط بين أسفاره ورحلاته ببراعة، ويوازن بين الحياة هنا والحياة هناك، وبين شخصية في العراق وأخرى في فرنسا أو مصر، وسرعان ما يعود، ولا أكون مبالغا إذا قلت إن الكتاب كله استطراد، ويبدو أنه ترسم خطا الجاحظ في هذا النهج، ويطيب لي أن أستعير قول الكاتب الفرنسي كارا دي فو:" إن الموضوع عند

الجاحظ ليس إلا وسيلة للاستطراد "[١١٤]، وعليه فالموضوع كله إن هو إلا اختلاق من زكي مبارك ليقص علينا حكاياته واستطرادته.

٢) مزج الجد بالهزل : من أبرز الخصائص المميزة لأسلوب زكي مبارك وهي سمة جاحظية أيضا، فقد كان الجاحظ كثيرما يفعلها في معظم كتبه، وقد احتج لهذا الأسلوب بقوله " إن لكل منهما فوائد"[١١٥]، وقد أراد من المزج بينهما طرد السآمة عن نفس القراء ،وخصص لبحث هذا الموضوع قسما كبيرا من الرسالة الأدبية، ويلحق بها سمة أخرى لا تنفك عنها هي السخرية، ومن ذلك قوله : " والشيخ السكندري معذور، فهو يظن أن العشق انتهى من الدنيا بعد قيس وليلاه، وأن الناس لم يعودوا يحبون غير الملوخية الخضراء !"[١١٦] وتكثر عند زكي مبارك السخرية إلى حد اللغو المستقبح والهزل، كقوله : " الحمد لله هذا مكان يزدان بعمامتين من وطن سيدنا عمر بن أبي ربيعة رضي الله عنه، وكان عمر بن أبي ربيعة من المجاهدين الذين قال فيهم جميل :

يَقُوْلُوْنَ جَاهِدْ يَا جَمِيْلُ بِغَزْوَةٍ ... وَأَيّ جِهَـادٍ غَيْرَهُنّ أَرِيْدُ

لِكُلّ حَدِيْثٍ بَيْنَهُنّ بَشَاشَـةٌ ... وَكُلُّ قَتِيْـلٍ بَيْنَهُنّ شَهِيْدُ

ومن مزايا سيدنا عمر بن أبي ربيعة أنه ولد في الليلة التي مات فيها سيدنا عمر بن الخطاب ، وقد اشترك هذان القرشيان في الجهاد، فكان ابن الخطاب يغزو الممالك والشعوب، وكان ابن أبي ربيعة يغزو الأفئدة والقلوب"[١١٧].

ومن المشاهد الساخرة وصفه لضارب الرمل أو قارئ البخت، وكان ضارب الرمل يجلس على الأرض بجوار دار المعلمين العالية، وهو معروف لسائر أهل بغداد، وكان زكي مبارك يريد أن يقف دقائق كل صباح حول بساط هذا الرجل

وهو في طريقه إلى الدرس، ولكن الطلبة يمرون فينتقدون أستاذهم؛ لأنهم سمعوا أنه أديب فيلسوف لا يهمه إلا الوقوف على أحوال المجتمع، ويستولى على الكاتب صراع نفسي وحيرة، فهو لا يحب أن يراه طلابه وهو يقف هذا الموقف، يقول : " لكن كيف أستخبر الرمل والطلبة يغدون ويروحون، وأكثرهم يحمل المصورات الشمسية، وفي مقدورهم أن يأخذوا صورتي على تلك الحال ويقدموها إلى الجرائد؛ فأصبح محور السمر الساخر في الأندية والمعاهد ؟ الحل سهل ، أنتظر ذهاب الطلبة للغداء ثم أُعرِّج على ضارب الرمل لأشوف بختي ، وكذلك فعلت "[١١٨].

وكان زكي مبارك يرتدي السدارة وهي زي عراقي يتميز به أهله، يقول عن نفسه : " لم يعرفني أحد من أطباء فلسطين وسورية ولبنان، فالذين قرأوا (مدامع العشاق) يحسبونني فتى لا يجاوز الثلاثين، والذين قرأوا (الأخلاق عند الغزالي) يحسبونني شيخا يصافح الثمانين، وهم جميعا يعتقدون أني مطربش لا مسدَّر، فدخولي بينهم بالسدارة يوهمهم حتما أني من فتيان العراق " [١١٩].

٣) الصراحة فيما يكتب من اعترافات مهما كانت مسيئة : ومن اعترافاته أنه كان يغار من الشاعر علي الجارم، وكره أن يقال عنه إنه شاعر مصر، يقول : " وكنت مع الأسف ذهبت إلى الحفل وأنا أضمر الشر للأستاذ علي الجارم، فقد كُتِب في منهاج الاحتفال أنه " شاعر مصر "، وأنا أبغض الألقاب الأدبية، فلما وقف ليلقي قصيدته لم أصفق، وأعديت من حولي بروح السخرية فلم يصفقوا، ولكن الجارم قهرني وقهر الحاضرين على أن يدموا أكفهم بالتصفيق ... وغاظني أن تصفق ليلى لشاعر يرى بحكم منصبه أنه رئيسي،

لأنه كبير المفتشين بوزارة المعارف المصرية، ولولا حكم الأقدمية لكنت الرئيس وكان المرءوس، ولكن ماذا أصنع وقد سبقني إلى الأستاذية بأعوام طوال ... وأنا والله أظلم نفسي بهذا الكلام، فما أذكر يوما أني حقدت على إنسان، وما أذكر أبدا أني عرفت معاني الحسد والضغن إلا على الدهر المخبول الذي يتسفَّل فيرفع الأدعياء ... "[١٢٠].

ومن الاعترافات المسيئة أن يذكر القيان والراقصات وانغماسه في اللهو في الحفل وشرب الخمر، وربما كان ذلك كذبا [١٢١]، وأحيانا يضع من نفسه ويذمها، كأن يقول إنه جلس على المائدة في غاية من الأدب والاحتشام، ثم يعترف : " وأنا رجل يزدان بالأدب في قليل من الأحيان "[١٢٢] ، ويذكر كثرة نظره إلى النساء فيقول : " ولو كانت العيون تقتل حقيقة لكان لي ضريح يزوره العشاق في باريس "، ثم يقول :" قلت فيما سلف إني رجل مف[١٢٣]ضوح النظرات " .

٤) الخيال الجامح الخصب فيما يتعلق بليلى وتعلقه بها وحبه إياها حتى إنه صدَّق نفسه حين زعم أنه طبيب يداوي مرضها، وأخذ يحدثنا عن عيادته في القاهرة في شارع كذا وفي حي كذا، وعن مرضاه ، ثم بلغ به الخيال أقصاه حين ظن أنه أحد أعضاء المؤتمر الطبي ببغداد وذلك لأنه طبيب ليلى، كما توهم أنه مهدد بالقتل، وأتاه خطاب تهديد ينهاه عن عيادة ليلى، ويذهب بالخطاب إلى قسم الشرطة، يقول : " وبعد ساعة من تسلم الخطاب كنت عند سعادة رئيس الشرطة، فكان أول كلامه بعد رد التحية أن قال :

- إيش لون ليلى ؟
- أهدد من أجلها بالقتل

فقدمت إليه الخطاب والعجَب ينقله من لون إلى لون ، ثم ابتسم فجأة وقال :

- ولكنه صفح عنك !
- صفح عني ؟ وكيف ؟
- ألم تقرأ هذه الجملة ؟

ونظرت فإذا في نهاية الخطاب " ولكني عدلت عن هذا الخاطر لأني إذا قتلتك قتلت معك علما غزيرا في الطب، وذوقا دقيقا في الأدب، فعجبت من أن تفوتني هذه الجملة، ولكن يظهر أن انزعاجي صرفني عن استيعاب الخطاب، والتهديد بالقتل يصنع أشنع من ذلك . عافى الله قراء هذه المذكرات من الأسواء" .١٢٤

فانظر كيف وصل به الأمر أن يتوهم هذه الأوهام، ومع ذلك يتابع وصفه لرئيس الشرطة ويكشف عن شخصية واسعة الصدر، رحّب به، وقرأ خطابه وكان سمحا معه.

لقد استطاع زكي مبارك تلبيس القارئ، وأن يوهمه أنه طبيب، يقول : " أنا الطبيب الذي أضاعه الأدب ، فلم يبق أمامه غير احتراف الصحافة والتعليم ، ولولا جناية الأدب لكنت اليوم عميد كلية الطب بالجامعة المصرية " ثم يواصل تلبيسه فيقول : " تذكرت العيادة التي أقمتها في الزمالك مع زميلي الدكتور أديب نشوان ، وهي عيادة كان يرجى أن تكون مضرب المثل في عالم الطب ، ولكن مقالاتي في جريدة البلاغ جنت عليَّ، فلم يعد أحد يصدق أنني طبيب " [١٢٥].

لذلك يقول فاضل خلف " وهو في الواقع كتاب طريف يوهم فيه مؤلفه القارئ الذي لا يعرفه أنه دكتور في الطب ، وقد جاء لمداواة ليلى في العراق " [١٢٦]

٥) توثيق المعلومات بالمستندات : هذه تقنية مبتكرة من تقنيات السرد استخدمها زكي مبارك من أجل طمأنة القارئ وحمله على التصديق بما يقص عليه والثقة فيما يرويه، ومن أمثلة ذلك صورة الدعوة التي وصلته من الجمعية الطبية المصرية لحضور المؤتمر الطبي السنوي العاشر الذي سينعقد ببغداد من ٩ إلى ١٣ فبراير سنة ١٩٣٨م وهي باللغة الانجليزية[١٢٧]، ومثلها أيضا صورة الدعوة التي وصلته من أمين العاصمة لحضور حفل تكريم أعضاء المؤتمر الطبي [١٢٨]، وهذا نصها :

" يتشرف أمين العاصمة بدعوة سعادة الدكتور السيد زكي مبارك إلى حفلة القبول التي ستقام في بهو العاصمة في الساعة العاشرة زوالية من مساء يوم الخميس المصادف ١٠ شباط سنة ١٩٣٨ وذلك على شرف أعضاء المؤتمر الطبي العربي الذي تعقده ببغداد الجمعية الطبية المصرية "

خاتمة

حاول هذا البحث أن يستقصي جماليات السرد في كتاب (ليلى المريضة في العراق) للدكتور زكي مبارك، وهو عبارة عن مذكرات كتبها المؤلف في أثناء إقامته في العراق مدة دامت نحو تسعة أشهر، وهي على قلتها، إلا أنها ألهمت الكاتب وألهبت وجدانه، واستطاع أن يلم بكل ما يحيط به من أحداث ومواقف وشخصيات رسم بها صورة دقيقة للمجتمع العراقي في ثلاثينيات القرن العشرين .

وقد نجح الكاتب في تعريفنا بمعالم العراق ومدنه، فكان حديثه عن المكان ممتعا يتسم بالواقعية ولاسيما إذا ما قارنه بأماكن أوروبية مشهورة، ولم يكن وصفه للأماكن على وتيرة واحدة، فتارة يطيل الوقوف وتارة يتعجل.

ووصَف بمنتهى الدقة عادات الناس وما شاهده من تقاليد وآداب من خلال حضوره الندوات الأدبية، والاحتفالات والسهرات التي التقى فيها بكثير من الشخصيات البارزة في العراق، ونال من هؤلاء وهؤلاء كل احترام وتكريم، " وكان – كما يقول نجدة فتحي صفوة – رسول الأخوة العراقية المصرية، أدى بقلمه ما لا تؤديه سفارات ولا معاهدات " [١٢٩]

سلط السرد السيرذاتي الضوء على شخصية السارد الساخرة، التي تخلط الهزل بالجد، والخيال بالحقيقة، وهي شخصية مغامرة يحب الترحال والتنقل والسفر، وقد استطاع أن يؤثر على المتلقي ويجعله يزداد إعجابا وافتتانا بالمكان الذي زاره، والأعلام التي قابلها، وجاء أسلوبه متميزا أخاذا بطابعه السردي البديع، وكثيرا ما أعقب ذلك بالتكبير والحمد.

ومن أهم سماته : الصراحة، والتشويق من خلال الخيال الجامح الخصب، وتوثيق المعلومات بالصور والمستندات، وكثرة الاستطراد، والسخرية اللاذعة من نفسه ومن الآخرين أحيانا، ولقد أكد البحث على تأثر زكي مبارك بالجاحظ في كثير من خصائص سرده، ولعل ذلك من أهم عوامل التميز في أسلوبه خاصة بين المعاصرين له.

لقد كتب زكي مبارك سيرة ذاتية في بضع مئات من الصفحات عن فترة زمنية مدتها تسعة أشهر، في حين يكتب آخرون سير حياتهم كلها عن عشرات السنين في نصف هذا الكم من الصفحات أو أقل منه، وهذا مظهر آخر من مظاهر تميز زكي مبارك، وهو امتلاكه ناصية اللغة وقدرته على استخدام مفرداتها بمنتهى اليسر وهي طيعة في يده، سائغة على لسانه .

الهوامش

[١] – ليلى المريضة في العراق : زكي مبارك، دار مصر للطباعة، ١٣٥٧هـ / ١٩٣٩م، ص ١١٣

[٢] – المقال وتطوره في الأدب المعاصر :السيد مرسي أبو ذكري ، دار المعارف ،١٩٨٢م ، ص ٩٦

[٣]– الأعلام : خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، ط ١٥ ، ٢٠٠٢ م ،٤٧/٣ . مصادر الدراسة الأدبية: يوسف أسعد داغر ، الجامعة اللبنانية ، بيروت ، ١٩٨٣م. ٢ / ٦٦٣ : ٦٦٧ . زكي مبارك بين رياض الأدب والفن ، فاضل خلف ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٩٥٩م . زكي مبارك – دراسة تحليلية لحياته وأدبه : أنور الجندي ، سلسلة مذاهب وشخصيات ، الدار القومية للطباعة والنشر ، د ت . زكي مبارك – ببلوجرافيا أولية : د.مصطفى الضبع ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٦م . وانظر أيضا المقدمة القيمة التي وضعها د.عبد العزيز نبوي لكتاب " النثر الفني في القرن الرابع " لزكي مبارك ، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان ، القاهرة ، ٢٠١٠م ص ١ : ٢٢ .

[٤] – زكي مبارك : رءوف سلامة موسى : دار ومطابع المستقبل ، الاسكندرية ، ٢٠٠٢م ، ص ٦٧ .

[٥] – ليلى المريضة في العراق ص ١١.

[٦] – الدكتور زكي مبارك يثيرني فأثير أثيره : مقال بقلم : كريم مرزة الاسدي موقع صوت العروبة ، ١٣ / ٤ / ٢٠١٧

٧ – زكي مبارك في العراق : عبد الرزاق الهلالي ، المكتبة العصرية – بيروت ١٩٦٩م

٨ – عتبات النص– البنية والدلالة : عبدالفتاح الحجمري، شركة الرابطة، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٦م، ص٧.

٩ – العنوان وسميوطيقا الاتصال الأدبي : د. محمد فكري الجزار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ١٩٩٨م، ص١٩.

١٠ – عتبات النص – البنية والدلالة، ص١٧.

١١ – انظر: بلاغة السرد : د. محمد عبدالمطلب، وما بعدها بتصرف، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط١، سبتمبر ٢٠٠١م، ص١٩.

١٢ – الرمز في الأدب الصوفي : أحمد أمين، مجلة الرسالة ، القاهرة العدد ١٣١، ٦ / ١ / ١٩٣٦م.

[١٣] – ليلى المريضة ص ١٢٣

[١٤] – انظر : بناء العتبات النصية في الأدبية الحديثة : د.شيماء خيري فاهم ، د.نصير جابر الفتلاوي ، بحث منشور بمجلة كلية التربية ، جامعة واسط ، العراق ، ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧

١٥ – السيميوطيقا والعنونة : د.جميل حمداوي، مجلة عالم الفكر، الكويت، م٢٥، ع٣، يناير– مارس١٩٩٧م، ص٩٦.

١٦ – انظر : عتبات : جيرار جنيت، ص٨٧.

١٧ – انظر: الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي، د. ياسين النصير، سلسلة كتابات نقدية (٧٥)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، يونيو ١٩٩٨م، ص ٣١ وما بعدها .

[١٨] – حدود السرد : مقال بقلم جيرار جنيت، ترجمة : بنعيسى بو حمالة ، ضمن كتاب (طرائق تحليل السرد الأدبي) لمجموعة من المؤلفين، منشورات اتحاد كتاب المغرب الرباط، ط١، ١٩٩٢م، ص ٧٥.

١٩ – النجم الذي هوى زكي مبارك : مقال بقلم محمد رجب البيومي ، مجلة الرسالة/العدد ٩٧٢/ بتاريخ: ١٨ – ٠٢ – ١٩٥٢م

[٢٠] – ليلى المريضة ص ١١

[٢١] – ليلى المريضة ص ٢٤٤

٢٢ – العشماوي بك : حضر إلى المؤتمر الطبي ببغداد ناثبا عن وزارة المعارف المصرية كما يقول الكاتب .

٢٣ – ليلى المريضة ص ٩١

٢٤ – ليلى المريضة ص ٢٣٨

٢٥ – محمد رضا بن محمد جواد بن محمد بن شبيب بن إبراهيم بن صقر الشبيبي: (١٨٨٩ – ١٩٦٥ م) ولد في النجف، وبها نشأ وتعلم. وبعد الحرب العامة الأولى سافر إلى الحجاز حاجًّا، ومر بدمشق في عودته فأقام إلى (١٩٢٠ م) وشارك في الثورة العراقية، وبعد

تأسيس المملكة في العراق أقام ببغداد. وتولى وزارة المعارف مرات أولها سنة (١٩٢٤ م) وانتخب رئيسا لمجلس النواب، ورئيسا لمجلس الأعيان (١٩٣٧) وبعد ثورة ١٩٥٨ في العراق انقطع لرياسة المجمع العلمي العراقي ببغداد إلى أن توفي. له كتب منها (ديوان الشبيبي) و(أصول ألفاظ اللهجة العراقية) رسالة. و(التربية في الإسلام)، و(مؤرخ العراق ابن الفوطي)، و(رحلة في بادية السماوة) و (تراثنا الفلسفي)، الأعلام ٦ / ١٢٧ .

٢٦ – ليلى المريضة ص ٩٧

[٢٧] – ليلى المريضة ٢٣٤ ، ٢٣٥

[٢٨] – ليلى المريضة ص ٢٨٢

[٢٩] – ليلى المريضة ص ٢٣٩

٣٠ – هو طه بن صالح الفضيل، (١٨٩٠ – ١٩٤٦ م) الراويّ:ولد في (راوة) بمحافظة الأنبار وهي قرية مشرفة على الفرات وإليها نسب، وتعلم الحقوق ببغداد، وعين مديرا للمطبوعات، فسكرتيرا لمجلس الأعيان، فأستاذا في دار المعلمين العالية (١٩٣٩)، واختير عضوا بالمجمع العلمي العربيّ بدمشق منذ ١٩٣٣. وتوفي ببغداد. من كتبه (أَبُو العَلَاء المَعري في بغداد) و(بغداد مدينة السلام) و(تاريخ العرب قبل الإسلام)و(تاريخ علوم اللغة العربية) و (بدائع الإيجاز) وجمع ابنه حارث بعض كتاباته في جزء سماه (نظرات في اللغة والأدب). انظر الأعلام للزركلي ٣ / ٢٣٢ ، طه الراوي : بقلم حارث طه الراوي ، مطبوعات وزارة الثقافة والإرشاد ، القاهرة ١٩٦٥م ، و معجم البابطين لشعراء العصر الحديث .

[٣١] – ليلى المريضة ص ٢٣٥

[٣٢] – نفسه ص ٢٩٠

٣٣ – هو مولود (باشا) مخلص، (١٨٨٦ – ١٩٥١م) من أبناء الحاج شعبان التكريتي الموصلي: ضابط عراقي، اشتهر في خلال الحرب العامة الأولى وما وبعدها. مولده بالموصل، ودراسته العسكرية ببغداد واستامبول، وبرزت شجاعته في ثورة العرب على الترك (سنة ١٩١٦) وكان مع قائد جيشها الشمالي (فيصل بن الحسين) وخاض معارك كثيرة، وبلغ في جيش الثورة رتبة (أمير لواء) وعين بعدها حاكما عسكريا لدير الزور (بسورية) وعاد إلى العراق، فعين متصرفا في كربلاء، ثم كان نائبا لرئيس مجلس الأعيان العراقي، وكانت الصراحة في الرأي والجرأة، أبرز صفاته، توفي ببيروت، ودفن ببغداد .(الأعلام ٧ / ٣٣٣)

[٣٤] – ليلى المريضة ص ١٠٨

٣٥ – هو نوري بن سعيد بن صالح ابن الملّا طه، (١٨٨٨ – ١٩٥٨م) من عشيرة القره غولي البغدادية، ولد ببغداد،وتعلم في مدارسها العسكرية. وتخرج بالمدرسة الحربية في الأستانة (١٩٠٦) ودخل مدرسة أركان الحرب فيها (١٩١١) وحضر حرب البلقان (١٩١٢ – ١٣) ولما قامت الثورة في الحجاز (١٩١٦) لحق بها، فكان من قادة جيش الشريف (الملك) فيصل بن الحسين في زحفه إلى سورية. ودخل قبله دمشق. وتولى رئاسة الوزارة العراقية مرات كثيرة في أيام فيصل وابنه غازي وحفيده فيصل بن غازي. وقامت الثورة في بغداد (١٤ يوليو ١٩٥٨) وقتل بعدها بأيام . وله آثار كتابية مطبوعة، منها " أحاديث في الاجتماعات الصحفية " و " استقلال العرب ووحدتهم " و " محاضرات عن الحركات العسكرية للجيش العربيّ في الحجاز وسورية " .الأعلام ٨ / ٥٣

[٣٦] – ليلى المريضة ص ١٠٨

٣٧ – ليلى المريضة ص ١٣٧

[٣٨] – ولد في بغداد عام ١٩٠٢م، وتعلم التركية والإنجليزية والفرنسية، وترأس تحرير مجلة البدائع الأسبوعية، كما عُين معلماً في الثانوية المركزية ببغداد، وأصبح مديراً للأوقاف فيها، ثم مفتشاً في وزارة المعارف. وعمل مديرا لمديرية الأوقاف العامة في بغداد، ورئيسا للمجمع العلمي في العراق ، وكان عضوا في مجمع اللغة العربية في دمشق، والأردن، والقاهرة، ومنح جائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي عام ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦م ، وترك العديد من المؤلفات تصل إلى خمسة وعشرين مؤلفا، منها: أعلام العراق، المجمل في تاريخ الأدب العربي، الموفق في التاريخ العربي، مهذب تاريخ مساجد بغداد وآثارها، مأساة الشاعر وضاح اليمن، الاتجاهات الحديثة في الإسلام، محمود شكري الألوسي : حياته وآراؤه اللغوية، الظواهر الكونية في القرآن، وكان شاعرا وله ديوانان ضخمان، وتوفي سنة 1416هـ / 1996م في بغداد.

[٣٩] – ليلى المريضة ص ٢٦٨

[٤٠] – نفسه ص ٢٦٨

[٤١] – البديع في البديع : أبو العباس، عبد الله بن محمد المعتز بالله (المتوفى: ٢٩٦هـ) ، دار الجيل، ط ١، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م، ص ١٥٧

[٤٢] – ليلى المريضة ص ٢٦٨

٤٣ – هو عبد الرحمن بن بطي البناء،(١٨٨٢ – ١٩٥٥م)كان يعمل بنَّاء، وتحول إلى العمل في الصحافة وصار شعره محور الحركة الوطنية أيام الاحتلال البريطاني، له ديوانان من نظمه، أحدهما (ديوان البناء) والثاني (ذكرى استقلال العراق). قال زكي مبارك: " وقفت معه على شط دجلة فوق مسناة، فقال: أنا الّذي بنيت هذه المسناة بيدي، ثم استهواني الأدب فهجرت البناية واشتغلت بنظم الشعر، وانشأت جريدة بغداد ". الأعلام ٣ / ٣٠٠ .

[٤٤] – ليلى المريضة ص ٢٤٣

٤٥ – هو محمد علي بن يعقوب بن جعفر اليعقوبي: (١٨٩٥ – ١٩٦٥م)، أديب من أهل النجف. نشأ في مدينة الحلة، وعاد إلى النجف وتنقل بينها وبين الحيرة والسماوة والبصرة. وكان عميد الرابطة الأدبية في النجف، وبه وفاته. صنف (البابليات) في تراجم شعراء الحلة، أربعة أجراء، ونشر وحقق عدة كتب في الأدب والشعر. ومن كتبه المطبوعة (ديوان اليعقوبي) مجموعة من شعره، و (الذخائر) ديوان ثان له، في أهل البيت. ما زال مخطوطا. من تأليفه كتب منها (وقائع الأيام) سجل فيه أهم الأحداث اليومية .الأعلام ٦ / ٣٠٩

٤٦ – ليلى المريضة ص ٣٠٧

٤٧ – نظريات السرد الحديثة : والاس مارتن، ترجمة: حياة قاسم محمد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٨م، ص١٧٦.

[٤٨] – ساطع الحصري : (١٨٨٣ – ١٩٦٨ م) : أبو خلدون: كاتب باحث، من علماء التربية ، ولد بصنعاء. وكان والده رئيس محكمة فيها، تعلم في إسطنبول، وتنقل في التعليم والإدارة. وأصدر مجلة بالتركية في (التربية) ، ولما انفصلت سورية عن الحكم العثماني (١٩١٨) جاءها وعين وزيرا للمعارف بدمشق . ولما احتل الفرنسيون سورية سافر إلى بغداد فكان بها مديرا لدار الآثار ورئيسا لكلية الحقوق. ومن كتبه (مذكرات عن العراق) و(دراسات عن مقدمة ابن خلدون) جزان، و (آراء في التاريخ والاجتماع) و (آراء في التربية والتعليم) و (آراء في العلم والأخلاق والثقافة) ، وكانت وفاته ببغداد .انظر : الأعلام ٣ / ٧٠

[٤٩] – : إبراهيم أدهم الزهاوي(١٩٠٢ – ١٩٦٢ م) : شاعر عراقي. مولده ووفاته ببغداد. تعلم بمدارسها ثم بجامعة آل البيت. جمع لنفسه ديوانا سماه (النفثات) ثم أتلفه ، فجمع عبد الله الجبوري ما بقي من شعره في الصحف والمجلات في ديوان باسمه . انظر : الأعلام ١ / ٣٢

[٥٠] – إبراهيم حلمي العمر (١٨٩٠ – ١٩٤٢ م) صحفي من كتاب العراق. اشتهر قبل الحرب العالمية الأولى برسائل كان يبعث بها إلى صحف مصر والشام، وتولى تحرير جريدة (النهضة) ببغداد سنة ١٩١٣ وكتب في مجلة (لغة العرب) البغدادية، وتوظف في ديوان مجلس الوزراء، وعمل في مكتب المطبوعات، واشترك في تأليف (الدليل العراقي) وله رسالة في (الثورة الإيطالية) وتوفي ببغداد . انظر : الأعلام ١ / ٣٧

٥١ – جماليات المكان في مسرح صلاح عبد الصبور : مدحت الجيار ، مقال منشور ضمن كتاب (جماليات المكان) لمجموعة من الكتاب، الناشر: عيون المقالات، الدار البيضاء، ط ٢ ، ١٩٨٨م، ص ٢٢ .

[٥٢] – مشكلة المكان الفني : يوري لوتمان، مقال منشور ضمن كتاب (جماليات المكان) المرجع السابق، ص ٦٩ .

٥٣ – ليلى المريضة ص ٣٦٠ ، ٣٦١ .

٥٤ – ليلى المريضة ص ١٢٠

[٥٥] – ليلى المريضة ص ١٣٣

[٥٦] – أَبُو الأَسْود الدُّؤَلي (١ ق هـ – ٦٩ هـ) ، ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي الكناني : واضع علم النحو. كان معدودا من الفقهاء والأعيان والأمراء والشعراء والفرسان والحاضري الجواب، من التابعين. وهو – في أكثر الأقوال – أول من نقط المصحف ، سكن البصرة في خلافة عمر، وولي إمارتها في أيام علي، استخلفه عليها عبد الله بن عباس لما شخص إلى الحجاز. ولم يزل في الإمارة إلى أن قتل عليّ. ومات بالبصرة . انظر : الأعلام ٣ / ٢٣٦

[٥٧] – ليلى المريضة ص ١٣٦

[٥٨] – ليلى المريضة ص ١٣٦

٥٩ – ليلى المريضة ص ١٣٧

٦٠ – زكي مبارك بين رياض الأدب والفن : فاضل خلف ، ص ٦٨

٦١ – ليلى المريضة ص ١٣٨

٦٢ – السابق ص ١٣٩

[٦٣] – نفسه ص ١٧٨

[٦٤] – ليلى المريضة ص ١٧٩

٦٥ – السابق ص ١٧٩

٦٦ – نفسه ص ١٨١

[٦٧] – الحَبُّوبي (١٢٦٦ – ١٣٤٤ هـ / ١٨٥٠ – ١٩١٦ م) محمد سعيد بن محمود الحسني النجفي ، من آل حبوبي ، شاعر عراقي، من أهل النجف. ولد بها وأقام مدة في الحجاز ونجد . له ديوان شعر مطبوع ، أنظر الأعلام للزركلي ٦ / ١٤٢

[٦٨] – ليلى المريضة ص ١٨١

[٦٩] – نفسه ص ١٨٣

٧٠ – ليلى المريضة ص ١٨٣ ، والروشن فتحة في الحائط أو السقف ، انظر : معجم اللغة العربية المعاصرة : د أحمد مختار عبد الحميد عمر وآخرون ، عالم الكتب ، ط ١ ، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م ، ٢ / ٩٥٩ .

٧١ – ليلى المريضة ص ١٨٤

٧٢ – الحَجَّاج بن يوسف الثَّقَفي (٤٠ – ٩٥ هـ) قائد، داهية، سفاك، خطيب. ولد ونشأ في الطائف (بالحجاز) ، قلده عبد الملك بن مروان أمر عسكره، وأمره بقتال عبد الله بن الزبير، فزحف إلى الحجاز بجيش كبير وقتل عبد الله وفرق جموعه، فولاه عبد الملك مكة والمدينة والطائف، ثم أضاف إليها العراق والثورة قائمة فيه، فقمع الثورة ، وولي معها خراسان وثبتت له الإمارة عشرين سنة. وبنى مدينة واسط (بين الكوفة والبصرة) . وكان سفاكا سفاحا باتفاق معظم المؤرخين. وكان الحجاج يخبر عن نفسه أن أكبر لذاته سفك الدماء وارتكاب أمور لا يقدم عليها غيره ، انظر : الأعلام ٢ / ١٦٨ ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : لابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ) تحقيق: إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧١م ، ٢ / ٢٩

[٧٣] – ليلى المريضة ص ١٨٤

٧٤ – الأعلام ٣ / ١٤٢

[٧٥] – ليلى المريضة ص ١٨٩

٧٦ – نفسه ص ١٨٩

٧٧ – انظر : تاريخ إربل : المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي الإربلي، المعروف بابن المستوفي (ت ٦٣٧هـ) ، تحقيق: سامي بن سيد خماس الصفار ، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، العراق ، ١٩٨٠ م، وانظر أيضا : الأعلام ٥ / ٢٦٩.

٧٨ – ليلى المريضة ص ١٨٩

٧٩ – انظر : معجم البلدان : ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ) ، دار صادر، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٩٥ م ، ٥ / ٢٢٣ ، ٣٣٩

٨٠ – ليلى المريضة ص ١٩١

٨١ – انظر ليلى المريضة ص ١٩٨.

٨٢ – ليلى المريضة ص ١٩٩ ، ٢٠٠

٨٣ – تحليل النص السردى (معارج ابن عربى نموذجًا) : سعيد الوكيل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م، ص٦٣.

٨٤ – السابق ص ٢٠٤

٨٥ – نفسه ٢١٢

٨٦ – نفسه ص ٢١٢

٨٧ – نفسه ص ٢١٣

٨٨ – ليلى المريضة نفسه ص ٢١٦

٨٩ – نفسه ص ٢١٦

[٩٠] – نظرية السرد" من وجهة النظر إلى التبئير": واين بوث وآخرون، ترجمة: ناجى مصطفى، منشورات الحوار الأكاديمى والجامعى، ط١ ،١٩٨٩م، ص١٣.

٩١ – اتجاهات السيرة الذاتية في الأدب العربي : د. حسام عقل ، بدون ناشر ، ٢٠٠٤م، ص ٩.

٩٢ – خطاب الحكاية: جيرار جنيت، ترجمة: محمد معتصم عبد الجليل الأزدى، وعمر حلمى، المجلس الأعلى للثقافة، ط٢، ٢٠٠٠م، ص ٢٦٤.

[٩٣] – ليلى المريضة ص ١٤٢

[٩٤] – توفيق السُّوَيدي (١٨٩١ – ١٩٦٨ م) زعيم عراقي، من العاملين في القضايا العربية، ولد وتعلم ببغداد. ودخل كلية الحقوق باستانبول وتخرج بالحقوق في باريس (١٩١٤) ودخل في الجيش العثماني ضابط احتياط (بفلسطين) وبعد الحرب زاول المحاماة في دمشق. ودرّس بها في كلية الحقوق. وعاد إلى بغداد (١٩٢١) فكان فيها عميدا لكلية الحقوق، فمديرا للعدلية، فوزيرا للمعارف (١٩٢٧) فرئيسا للوزارة (٢٩) ثلاث مرات، قام في خلالها برئاسة مجلس النواب. وتقلب في مناصب متعددة. وأسس حزب الأحرار. ، ثم انتقل إلى بيروت، وتوفي بها

. ودفن ببغداد. من كتبه (مذكّراتي: نصف قرن من تاريخ العراق والقضية العربية) انظر : الأعلام ٢ / ٩٢

[٩٥] – ليلى المريضة ص ١٤٢

[٩٦] – نفسه ص ١٤٣

[٩٧] – اتجاهات السيرة الذاتية في الأدب العربي : د. حسام عقل ، ص ٩

٩٨ – الفن القصصي عند إبراهيم عبد المجيد – دراسة تحليلية نقدية : د.أماني محمد سعد، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة عين شمس، ٢٠١٢م ، ص ٢٥٩.

[٩٩] – ليلى المريضة ص ٩٥

١٠٠ – ليلى المريضة ص ٧٨

[١٠١] – نفسه ص ٩٩

[١٠٢] – نفسه ص ١٠٥

[١٠٣] – ليلى المريضة ص ١١١

[١٠٤] – ليلى المريضة ص ١١٢

[١٠٥] – نفسه ص ١١٤

[١٠٦] – نفسه ص ٢٦٨

[١٠٧] – وحي بغداد : زكي مبارك ص ٢٢١ : ٢٢٥

[١٠٨] – ليلى المريضة ص ٧٦

[١٠٩] – الحيوان : عمرو بن بحر بن محبوب، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، دار الكتب العلمية ،بيروت، ط ٢، ١٤٢٤ هـ، ٥ / ٨٥ .

[١١٠] – الرسائل الأدبية : أبو عثمان،عمرو بن بحر بن محبوب، الشهير بالجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط ٢، ١٤٢٣ هـ ص ٤٧٢.

١١١ – كتاب الصناعتين : أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية ، بيروت ، ١٤١٩ هـ، ص ٣٩٨.

١١٢ – ليلى المريضة ص ٨٨ ، ٨٩

١١٣ – ليلى المريضة ص ٥٣ : ٥٥

١١٤ – الفن ومذاهبه في النثر العربي: د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط ١٣، د ت . ص ١٦٦

[١١٥] – الرسائل الأدبية : للجاحظ ص ٨٣

١١٦ – ليلى المريضة ص ٩٤

١١٧ – السابق ص ٩٦ ، ٩٧

١١٨ – ليلى المريضة ص ٧١

١١٩ – ليلى المريضة ص ٧٩

١٢٠ – السابق ص ٩٣

١٢١ – نفسه ص ١١٤

١٢٢ – نفسه ص ٩٨

١٢٣ – نفسه ص ٩٨

[١٢٤] – ليلى المريضة ص٧٦

١٢٥ – السابق ص ٤٥

١٢٦ – زكي مبارك بين رياض الأدب والفن : فاضل خلف ص ٦٢

١٢٧ – ليلى المريضة ، انظر ص ٩١

١٢٨ – السابق ص ١٠٠

المراجع

المراجع العربية :

١- اتجاهات السيرة الذاتية في الأدب العربي : د. حسام عقل،ج ٢، د ن، ٢٠٠٤م.

٢- الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي : د.ياسين النصير، سلسلة كتابات نقدية (٧٥)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، يونيو ١٩٩٨م.

٣- الأعلام : خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط ١٥ ، ٢٠٠٢م.

٤- البديع في البديع : أبو العباس، عبد الله بن محمد المعتز بالله (ت ٢٩٦هـ)، دار الجيل، ط ١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٥- بلاغة السرد : د. محمد عبدالمطلب، وما بعدها بتصرف، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط١، سبتمبر ٢٠٠١م.

٦- تاريخ إربل : ابن المستوفي، المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب الإربلي (ت ٦٣٧هـ)، تحقيق: سامي سيد الصفار، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، العراق، ١٩٨٠ م .

٧- تحليل النص السردى (معارج ابن عربى نموذجًا) : سعيد الوكيل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م.

٨- جماليات المكان : مجموعة من الكتاب، الناشر: عيون المقالات، الدار البيضاء، ط ٢، ١٩٨٨م.

٩- الحيوان : أبو عثمان، عمرو بن بحر بن محبوب، الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، دار الكتب العلمية ،بيروت، ط ٢، ١٤٢٤ هـ .

١٠- راية الحرية الأدبية الدكتور زكي مبارك : عادل الشامي وكريمة زكي مبارك، مكتبة مصر، د ت .

١١- الرسائل الأدبية : أبو عثمان،عمرو بن بحر بن محبوب، الشهير بالجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط ٢، ١٤٢٣هـ.

١٢- زكي مبارك : رءوف سلامة موسى : دار ومطابع المستقبل، الإسكندرية، ٢٠٠٢م.

١٣- زكي مبارك – ببلوجرافيا أولية : د.مصطفى الضبع، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ، ٢٠٠٦م.

١٤- زكي مبارك بين رياض الأدب والفن : فاضل خلف، مكتبة الآداب – القاهرة ١٩٥٧م.

١٥- زكي مبارك – دراسة تحليلية لحياته وأدبه : أنور الجندي، سلسلة مذاهب وشخصيات، الدار القومية للطباعة والنشر، د ت .

١٦- زكي مبارك في العراق : عبد الرزاق الهلالي، المكتبة العصرية، بيروت ١٩٦٩م.

١٧- طه الراوي : بقلم حارث طه الراوي، مطبوعات وزارة الثقافة والإرشاد، القاهرة ١٩٦٥م .

١٨- عتبات النص- البنية والدلالة : عبدالفتاح الحجمري، شركة الرابطة، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٦م.

١٩- العنوان وسميوطيقا الاتصال الأدبي : د. محمد فكري الجزار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ١٩٩٨م.

٢٠- الفن ومذاهبه في النثر العربي: د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط ١٣، د ت .

٢١- كتاب الصناعتين : أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت ، ١٤١٩ هـ.

٢٢- ليلى المريضة في العراق : زكي مبارك، دار مصر للطباعة، ١٣٥٧هـ / ١٩٣٩م.

٢٣- مصادر الدراسة الأدبية: يوسف أسعد داغر، ج ٢، الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٨٣م.

٢٤- معجم البلدان : ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م .

٢٥- معجم اللغة العربية المعاصرة : د. أحمد مختار عبد الحميد عمر وآخرون، عالم الكتب، ط ١، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨م .

٢٦- المقال وتطوره في الأدب المعاصر : السيد مرسي أبو ذكري، دار المعارف،١٩٨٢م .

٢٧- ملامح المجتمع العراقي (كتاب يصور العراق في مذاهبة الأدبية والقومية والاجتماعية) : زكي مبارك، مطبعة أمين عبد الرحمن، القاهرة ١٩٤٢م .

٢٨- النثر الفني في القرن الرابع : زكي مبارك ، تقديم د.عبد العزيز نبوي، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، القاهرة ، ٢٠١٠م .

٢٩- وحي بغداد (صور وجدانية وأدبية واجتماعية) : زكي مبارك، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م .

٣٠- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : لابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ) تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧١م .

المراجع المترجمة :

٣١- خطاب الحكاية: جيرار جنيت، ترجمة: محمد معتصم عبد الجليل الأزدى، وعمر حلمى، المجلس الأعلى للثقافة، ط٢، ٢٠٠٠م.

٣٢- طرائق تحليل السرد الأدبى: جيرار جنيت وآخرون، ترجمة: بنعيسى بو حمالة وآخرين، منشورات اتحاد كتاب المغرب الرباط، ط١، ١٩٩٢م.

٣٣- نظريات السرد الحديثة : والاس مارتن، ترجمة: حياة قاسم محمد، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٨م.

الرسائل الجامعية :

٣٤- الفن القصصي عند إبراهيم عبد المجيد – دراسة تحليلية نقدية: أماني محمد سعد، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة عين شمس، ٢٠١٢م .

الدوريـــــات :

٣٥- العتبات النصية في الأدبية الحديثة : د.شيماء خيري فاهم، د.نصير جابر الفتلاوي، بحث منشور بمجلة كلية التربية، جامعة واسط، العراق، ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م.

٣٦- الدكتور زكي مبارك يثيرني فأثير أثيره : مقال بقلم : كريم مرزة الأسدي موقع صوت العروبة، ١٣ / ٤ / ٢٠١٧م.

٣٧- الرمز في الأدب الصوفي : أحمد أمين، مجلة الرسالة، القاهرة، العدد ١٣١، ٦ / ١ / ١٩٣٦م.

٣٨- مبارك في بغداد : كريم مرزة الأسدي، صحيفة المثقف الالكترونية، ع ٣٠٠٨، ٢٩ / ١١ / ٢٠١٤م.

٣٩- السيميوطيقا والعنونة : د.جميل حمداوي، مجلة عالم الفكر، الكويت، م٢٥، ع٣، يناير- مارس١٩٩٧م.

٤٠- النجم الذي هوى : مقال بقلم محمد رجب البيومي، مجلة الرسالة، العدد ٩٧٢، ١٨ / ٢ / ١٩٥٢م

تم بحمد الله